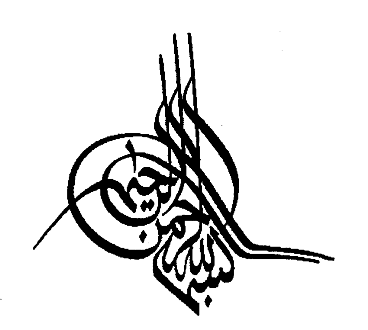
الشـــعر
فى
موكب السُّنة المطهرة

تأليف

محمد عايش عبيد

المشرف على شئون القرآن الكريم

بالمعهد الدينى بالعريش



الشــعر
فى
موكب السُّنة المطهرة

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - ج.م.ع - المنصورة
الإدارة: ش. الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ص ب: ٢٣٠
ت/ ٢٢٥٦٢٣٠٥٠/٢٢٦٠٩٧٤ فاكس ٠٥٠/٢٢٦٠٩٧٤ محمول ٠١٠/١٧٠٥٦٥٨
E-MAIL:darelwafa@HOT M AIL.COM
WWW.EL-WAFAA.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز السيرة والسنة

تقرير عن كتاب « **الشعر فى موكب السنة المطهـرة شعرًا ونثرًا** » لمؤلفه : الأستـاذ محمد عايش عبيد المدرس بالأزهر .

السيد الأستاذ رئيس الإدارة المركزية لشؤون السيرة والسنة .

تحية طيبة وبعد :

فلقـد اطلعت على كتـاب « **الشعـر فى موكب السنة المطهـرة شعـرًا ونثرًا** » لمؤلفه الأستاذ محـمد عايش عبيد المدرس بالأزهر الشريف والكتـاب يقع فى ١٩٤ صفحة من القطع الكبير . وقد عـرضه المؤلف على مجمع البحوث الإسلامـية بالأزهر . وقد قرر مجمع البحوث بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية . ولا مانع من طبعـه على نفقـة المؤلف وذلك بتاريخ ٣٠ / ٩ / ١٩٩٢م وهذه الـتأشيـرة مرفـقة بأصول الكتاب .

وقد تحدث المـؤلف فقال : إن الله تعالى منَّ عليـه بموهبة الشعر ، فـأعطاه القدرة على نظم الشعـر ،بحيث يستطيع التعـبير عمـا يريده بأسلوب الشعر ، وأنه عـشق سيرة رسول الله ﷺ . كمـا عشق سنة رسول الله ﷺ . ونهل منهما كثـيرًا ، وذلك بعد أن قرأ آلاف الأحاديث عن رسـول الله ﷺ . وبعد أن قرأ معظم مـا كتب عن رسول الله ﷺ ، وبعد أن استوعب ذلك كله . سخر موهبته المتواضعة فى الشعر لخدمة الدين .

وكتابنا هذا ، سلك فيه المؤلف عناصر ثلاثة هى كما يلى :

١ ـ إنه يأتى بالحديث النبوى فيضعـه فى الصفحة التى على اليمين ، ويأتى بالرواة عقب كل حديث .

٢ ـ ثم يأتى بالشعر المستوحى من معنى الحـديث فى الصفحة المقابلة للحديث التى على الشمال .

٣ ـ ثم تأتى مرحلة شرح الحديث بعد الشعر فى صفحة أو صفحتين حسبما يقتضى المقام .

وقد أورد المؤلف ٣٦ حديثا عن رسـول الله ﷺ . وجاءت الأحاديث شاملة لمعظم

الأغراض فى الأحكام والتربيـة والآداب الاجتماعية والترغـيب والترهيب والكتاب ممتع ومفيد ، وفيه منفعة عظيمة فى مـجال الدعوة الإسلامية ، وفى فهم حديث رسول الله ﷺ . ولكنى أرى أن يأتى الشعر بعد شرح الحديث ولا يكون مقابلا للحديث ، وذلك حتى لا يلتـبس على القارئ الحديث بالشعـر وهذا أفضل ، وبهذا يكون الكتـاب صالحا للنشـر . لعموم المـنفعة به فى مـجال الدعـوة ، وفى فهم سنة رسـول الله ﷺ ، مع خالص التحية .

ونشير إلى أن مؤلف الكتاب قد حضر إلى المجلس ووافق على كل الملاحظات التى رأيناها . وأفاد بأنه سبق له طبع كتـاب التغريدة فى السيرة النبوية شعـرًا ونثرًا على نفقة المجلس سنة ١٩٨٠ م وهذا للعلم .

مـــدير عام
بحـــوث ودراسات السيرة والسنة
عبد الرحمن البهلول
٣١/ ٥ / ١٩٩٥م

هذا الكتاب

« الشعر فى موكب السنة المطهرة »

أقدمه هدية إلى سيدى ومولاى ، صاحب السيرة العطرة ، والسنة المطهرة ، إلى خير خلق الله قاطبة ، إلى أستاذى الوحيد ، محمد ﷺ .

هذا الكتابُ هديةٌ منِّى إلى الهَادى الأمين ١
للرحمة المُهداة خيرِ الخلق ختم المرسلين ٢
من قوله قدْ صُغْتُهُ شعْرًا لكلِّ العالمين ٣
شعْرًا ترى الإيمانَ فيه يُضيءُ دربَ التائهين ٤
الناسُ إذا ما يقرؤوه فلن يكونوا نادمين ٥
بل سوفَ يزدادون إعجابًا وعشْقًا فى يقين ٦
إعجابُهُمْ من كونه شعرًا منَ القول المُبين ٧
شعْرًا يواكبُ سُنَّة الهادى إمام المتقين ٨
من خادمٍ للسُّنَّة الغَرَّاء فى صدْق أمين ٩
أخبارُه - منْ ثَمَّ - تغْدُو مَطْلبَ المتسَائلين ١٠
فى كلِّ نادٍ للشباب ، وللشيُوخ الطاعنين ١١
الكلُّ ينهَلُ منْهُ منْ عُلمائهمْ ومُثقفين ١٢
بعدَ القراءة قد غَدَوْا فى جُملة المتشوِّقين ١٣
هذا - لعمرُ الله - ما أبغيه بين المسلمين ١٤
أن يعلموا من سُنَّة الهادى علومَ العارفين ١٥
حسْبى بهذا أن أكونَ على طريق السَّالكين ١٦
يا خيرَ خلق الله هاكَ هديَّة المتَواضعين ١٧
هذى الهَديةُ نضْحُ فكْرٍ فيه سَمْتُ المؤمنين ١٨
الفكرُ مدفوعٌ بحبٍ فاقَ حُبَّ العَاشقين ١٩

« تغريدتى » (١) أهديتُهَا ـ قَبْلاً ـ بحُبِّ المخـلصين ٢٠
لم أدرِ هلْ قُبِلَتْ ونالـت نظرةَ المسْتـحـسنين ؟! ٢١
إنى أريد ـ حـقـيـقـةً ـ أن أطمـئنَّ وأستَبين ٢٢
فلـعلـهَا قُبلَتْ وذى (٢) ، من جُمَلة المتـقـبلين ٢٣
لى مطـمعٌ فى أن أراك كـمـا تُرى للآخـرين ٢٤
لو زرتـنى فى الـنوم أعلـمُ بالقَبـول وأستـكين ٢٥
أيـضًا وأعلـمُ أنـنـى نلـتُ الـرِّضَا فـى الآمنـين ٢٦
مِنْ ثَمَّ أطـمـع فـى رِضَا ربـى إلـهِ الـعَالمـين ٢٧

(١) إشارة إلى كتابه : « التغريدة فى السيرة النبوية شعراً ونثراً » .
(٢) وذى : أى وهذه الهدية الثانية ، وهى كتاب « الشعر فى موكب السنة المطهرة » .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين ، واهب النعم ، موجد الخلق من العدم ، خلق الإنسان وفضله على سائر المخلوقات ، وسخر له كل ما فى الكون ، حتى الشمس والقمر لقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : ١٣] وقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) ﴾ [إبراهيم] .

وعلمه البيان ، وهذه لعمر الله أجل نعمة وأفضل عطاء من الله لبنى الإنسان ، لأجل ذلك قال الله عز وجل فى معرض امتنانه : ﴿ الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) ﴾ [الرحمن] أى علمه وأعطاه القدرة على التعبير ، عما فى الضمير ، لإفهام الغير بما يريده .

والصلاة والسلام على سيدى ومولاى محمد ﷺ الذى أتاه الله جوامع الكلم ، بحيث يعبر بقليل الكلام عن كثير المعانى .

وبعد :

فإن الشعر هو أسمى وأرفع أنواع البيان ، بعد كلام الله عز وجل ، وكلام محمد ﷺ ، ولقد أكرمنى الله عز وجل ، فأعطانى القدرة على نظم الشعر ، أى أننى أستطيع صياغة أفكارى شعرًا . . . ولا غرو فإننى لا أحب أن أكون شاعرًا ممن ينطبق عليهم قوله تعالى :

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) ﴾ [الشعراء] .

بل أريد أن أكون ممن ينطبق عليهم قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾ [الشعراء : ٢٢٧] .

من أجل هذه المعانى ، سخرت موهبتى المتواضعة ، فى الشعر لخدمة الدين بأسلوب جديد غير تقليدى .

وفعلاً كان أول عمل أقدمت عليه ، وأعاننى الله على القيام به ، أننى صغت السيرة النبوية شعرًا ونثرًا ، من أولها إلى آخرها ، فى ثمانية أجزاء ، روجعت وأجيزت من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، بوزارة الأوقاف ، بعنوان: « تغريدة السيرة النبوية » وقد قيل عنه أنه عمل غير مسبوق ، وأن المكتبة الإسلامية كان ينقصها هذا العمل ، وقد لاقى هذا العمل استحسانًا لدى كل الأوساط العلمية ، كتبت عنه الصحف فى مصر وفى دول الخليج ، وهو يعرض فى معرض القاهرة الدولى للكتاب، وبعد ذلك كتبت « موسى والخضر شعرًا ونثرًا » أيضا ، ثم كتاب « يوسف الصديق شعرًا ونثرًا » . روجعا وأجيزا من مجمع البحوث الإسلامية .

بعد هذه الرحلة الطويلة ، مع السيرة النبوية ، بأحداثها التى لشدة حبى لها ، كأنها نقشت على صفحة قلبى ، وبعدها تطلعت نفسى إلى عمل جديد آخر . . وماذا عساه يكون هذا العمل ؟! لقد قررت أن أخوض عباب بحر عميق الغور ، ذلك البحر هو : السنة النبوية المطهرة ، كيف ؟ !

لقد قررت أن أقرأ الحديث الشريف ، ثم أقرأ شرحه من مظانه ، من ثم أكون قد ازددت معرفة بأسرار الحديث ومعانيه ، بعد ذلك أعالج صياغة معناه شعرًا ، ولا غرو فإن لى مع الحديث الشريف تاريخا وسنوات طوالاً ، قرأت خلالها كل كتب الحديث الشريف ، الصحاح والمسانيد وغيرها ، بحيث أحفظ ـ بحمد الله وتوفيقه . الآلاف من الأحاديث الشريفة .

إذًا فلقائى مع السنة النبوية المطهرة ، لقاء الحبيب لمحبوبه ، بعد غياب كان مع حبيب آخر ، هو صنو السنة النبوية المطهرة ، ذاك الحبيب هو : « السيرة النبوية المطهرة » .

وفعلاً ، لقد شمرت عن ساعد الجد ، وباشرت القيام بهذه المهمة ، نعم لقد باشرت القيام بأشق مهمة وأيسرها ، شاقة لكونى أعالج كلام رسول الله ﷺ ـ وهو وحى منزل ـ فأحاول صياغة معانيه شعرًا ، ويسيرة سهلة لكونى أحب رسول الله ﷺ ، حبًا ملأ أقطار نفسى ، وأعجب به إعجابًا يبهرنى ، يبهرنى فى أقواله التى تضىء القلب والوجدان ، فكلما قرأت حديثا شريفا للمرة الثانية أو الثالثة أو . . . إلخ أجد المعانى تتجدد فى فكرى ، وأزداد فهمًا عن ذى قبل ، إن أقواله ﷺ تشبه النور الذى يبدد حالك الظلام ، ولا يزال العالم كلما نشط وتطور وتقدم فى مجالات العلم ، يجد

نفسه مسبوقا ، بما قاله وقرره محمد ﷺ ، وهو فوق العد والحصر .

يبهرنى ﷺ ، فى تواضعه فى موطن التواضع ، وتفاخره فى موطن التفاخر ، يبهرنى فى كل شيء : قولا وفعلاً وسلوكًا .

لقد أحببت رسول الله ﷺ ، فقرأت سيرته كما لم يقرأها الآخرون ، لذلك كتبتها كما لم يكتبها الآخرون ، ثم عشت مع السنة المطهرة ، أنهل منها على مهل ـ خلال سنى سلب حريتى ـ فعشقت حفظ الأحاديث الشريفة ، كحفظى للقرآن الكريم ، ذلك لأننى وجدت فى السنة النبوية المطهرة ، ضالتى ، ومحو جهالتى ، فكلما قرأت زادت معرفتى بنفسى ، لقد كنت بالأمس أجهل أشياء فعرفتها اليوم ، واليوم أجهل أشياء ، فأريد أن أعرفها غدًا إن شاء الله .

وطريقتى فى قراءة الكتب ، عيناى تتابع الجملة الدعائية الخالدة :

هى : « قال ﷺ » أى ما يأتى بعد هذه الجملة . فهو بغيتى ومطلبى ، لا شأن لى بما يسبقها ، وما يأتى بعدها من شرح أو تعليق ، ذلك لأن لكلام رسول الله ﷺ معطيات قد لا يهتدى إليها كثير من شارحى الأحاديث الشريفة .

ثم حبب إلى كتابة ما أقرأه من الأحاديث الشريفة ، عملاً بالحكمة القائلة :« العلم صيد والكتابة قيد » فكتبت الآلاف من الأحاديث الشريفة . . واليوم ها أنذا أعود إلى محبوبتى ـ السنة النبوية المطهرة ـ لأجدد علاقتى بها بفكر جديد مستنير ، لأقدم للدنيا عملا عظيما ،يستمد عظمته من عظمة صاحب الكلام ،الذى قررت،متوكلا على الله ، أن أدور فى فلك معانيه ، لأقدم للأجيال عملاً جديدًا ، فى صورة مشرقة تستهوى المؤمنين من القراء ، شكلاً وموضوعًا .

عناصر هذا الكتاب ثلاثة :

١ ـ الحديث الشريف .

٢ ـ الشعر المستوحى من معنى الحديث الشريف .

٣ ـ شرح الحديث الشريف مأخوذًا من مظانه .

هذا الكتاب ، بعناصره الثلاثة ، يعتبر أسلوبا جديدًا ، فى طريقة تأليف الكتب ، وهو فى الوقت نفسه ، يعتبر داعية يدعو القراء إلى رحاب السنة المطهرة ، فلعلى أكون بهذه الطريقة . أضفت إلى قراء السنة المطهرة جمهورًا جديدًا .

فتعال أخى القارئ الكريم ، فاقرأ معى الحديث الشريف ، وارتشف من رحيق معانيه،وثق بأنك سوف تعلم منه ما كنت تجهله . . بعد ذلك إن كنت من هواة الشعر ، فانظر إلى الصفحة التالية ، فإنك ـ بإذن الله ـ واجد فيها ضالتك من الشعر الرشيق الموزون ، الخالى من الخيال والكذب . . . ولعلك بعد ذلك تشعر برغبة فى معرفة بعض ما غمض عليك فهمه ، من كلام رسول الله ﷺ . . . إذًا فما عليك إلا أن تقلب الصفحة ، بعد الشعر لتجد الشرح مفصلاً .

أقدم هذا العمل ـ وهو جهد المقل ـ هدية متواضعة إلى سيدى ومولاى ومعلمى ، وأستاذى الأول والوحيد ، وقدوتى فى كل أقوالى وأفعالى : محمد ﷺ .

أسأل الله عز وجل أن ينفعنى بهذا العمل ، وأن يجعله فى كفة حسناتى يوم القيامة . آمين .

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ [هود : ٨٨] .

محمد عايش عبيد

١ ـ حديث : « إنما الأعمال بالنيات »

عن أمير المؤمنين : أبى حفصٍ ، عـمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال :

سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنّما الأعمالُ بالنيّات (١) ، وإنّما لكل امـرئٍ مَا نوى ، فَمَن كانَت هجـرته إلى الله ورسـوله ، فَـهجـرته إلىَ الله ورسولَه ، ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبها ، أو امرأةٍ ينكِحُها ، فهِجْرتُه إلى مَا هَاجَر إليه » (٢) .

شرح الحديث

« إنما الأعمال بالنيات » يدل الحديث على أن النية معيار لصحيح الأعمال ، فحيث صلحت النية صلح العمل ، وحيث فسدت النية فـسد العمل ، وإذا وجد العمل وقارنته النية فله ثلاثة أحوال : الأول أن يفعل ذلك خوفًا من الله تعالى ، وهذه عبادة العبيد ، الثانى أن يفعل ذلك لطلب الجنة والثواب ، وهذه عبـادة التجار ، الثالث أن يفعل ذلك حـياء من الله تعـالى ، وتأدية لحق العـبودية ، وتأدية للـشكر ، ويرى نفسـه مع ذلك مـقصـرًا،ويكون مع ذلك قلبه خـائفًا ؛ لأنه لا يدرى هل قُبل عـمله مع ذلك أم لا ، وهذه عبادة الأحرار .

وإليها أشـار رسول الله ﷺ ، لما قالت له عائشة رضى الله تعـالى عنها ، حين قام من الليل حتى تورمت قدماه ، يا رسول الله ، تتكلف هذا ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ ! قال : « أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟ » !

فإن قـيل : هل الأفضل العبادة مع الخـوف ، أو مع الرجاء ؟! قيل : العـبادة مع

(١) الأعمال بالنيات : النية فى كلام العلماء تقع بمعنيين : أحدهما ، تمييـز العبادات بعضها من بعض ، كتمييز صلاة الظهر من صلاة العصر مثلا ، وتمييز صوم رمضان من صيام غيره .

والمعنى الثانى : تمييز المقصود من العمل ، وهل هو لله وحده لا شريك له ، أم لله وغيره ، وهذه هى النية التى أشار إليها الحديث ، والله أعلم .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

الرجاء أفضل ، لأن الرجاء يورث المحبة ، والخوف يورث القنوط .

« وإنما لكل امرئ ما نوى » قال الحارث المحاسبى فى كتاب « الرعاية » : الإخلاص ، أن تريده بطاعته لا تريد سواه ... قال تعالى فى الحديث القدسى : «أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيرى ، فأنا برىء منه » وقيل : الرياء نوعان : أحدهما لا يريد بطاعته إلا الناس ، الثانى يريد الناس ورب الناس ، وكلاهما محبط للعمل ... نقل هذا القول : الحافظ أبو نعيم فى ـ حلية الأولياء ـ عن بعض السلف .

قال السمرقندى رحمة الله تعالى عليه : ما فعله لله قُبِل ، وما فعله من أجل الناس رُد ، ومثال ذلك من صلى الظهر مثلاً ، وقصد أداء ما فرض الله تعالى عليه ، ولكنه طوّل أركانها وقراءتها ، وحسّن هيآتها من أجل الله ، فأصل الصلاة مقبول ، وأما الإطالة والتحسين من أجل الناس ، فغير مقبول ؛ لأنه قصد به الناس ؛ لهذا كان قوله ﷺ :

« فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

وسئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، من صلى فطول صلاته من أجل الناس ، فقال : أرجو ألا يحبط عمله ، هذا إذا حصل التشريك فى صفة العمل ، أما إذا حصل التشريك ، فى أصل العمل ، بأن صلى الفريضة من أجل الله تعالى والناس ، فلا تقبل صلاته ، وكما أن الرياء فى العمل ، يكون فى ترك العمل .

قال الفضيل بن عياض: ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس ، شِرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما ، ومعنى كلامه رحمه الله تعالى : أن من عزم على عبادة وتركها ، مخافة أن يراها الناس ، فهو مراء ، لأنه ترك العمل لأجل الناس ، أما لو تركها ليصليها فى الخلوة ، فهذا مستحب ، إلا أن تكون فريضة ، أو زكاة واجبة ، أو يكون عالمًا يقتدى به ، فالجهر بالعبادة فى ذلك أفضل .

وكما أن الرياء محبط للعمل ، فكذلك التسميع ، وهو أن يعمل لله تعالى فى الخلوة ، ثم يحدث الناس بما عمل ؛ لهذا قال ﷺ : « من سمّع سمّع الله به ، ومن راءى راءى الله به » .

قال العلماء : فإن كـان عالمًا يقتدى به ، وذكر ذلك تنشيطا للسـامعين ليعملوا به ، فلا بأس ، لقوله ﷺ :

« إنما الأعمـال بالنيات » أراد بهـا أعمـال الطاعات ، دون أعمـال المباحـات ، قال الحارث المحـاسبى : الإخـلاص لا يدخل فى مبـاح ؛ لأنه لا يشتمل عـلى قربة ، ولا يؤدى إلى قـربة ، كرفع البنيـان لا لغرض ، بل لغـرض الرعونة ، أمـا إذا كان لـغرض كالمساجد والقناطر والأربطة ، فيكون مستحبًا .

قال : ولا إخلاص فى محرّم ولا مكروه ،كمن ينظر إلى ما لا يحل له النظر إليه ، ويزعم أنه ينظر إلـيه ليـتـفكر فى صنع الله تعـالى ، كـالنظر إلى الأمـرد ، وإلى المرأة الحسناء، فهذا لا إخلاص فيه ، بل لا قربة البتة .

وقوله ﷺ:« وإنما لكل امرئ ما نوى» دليل على أنه لا يجوز النيابة فى العبادات ، ولا التوكيل فى نفس النية ، وقد استـثنى من ذلك ، توزيع الزكاة ، وذبح الأضحية ، فيجوز التوكيل فيهما ، فى النية والذبح والتوزيع ، مع القدرة على النية ، وفى الحج لا يجوز ذلك مع القدرة .

وقوله ﷺ : « فمن كانت هجرته إلى الله ورسـوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصـيبها أو امرأة ينكحها ، فهجـرته إلى ما هاجر إليه » أصل الهجرة : المجافاة والترك ، وقد هاجـر أصحاب رسول الله ﷺ ، من مكة إلى الحبشة حين اشتـد أذى المشركين بهم ، ففـروا مهاجرين إلى الحـبشة إلى جـوار النجاشى ملك الحبشة ، وكانت هذه الهجرة بعد البعثة بخمس سنين ، قاله البيهقى .

وهاجر أصحاب رسول الله ﷺ هجـرة ثانية من مكة إلى المدينة ، وكانت هذه بعد البعثة بثلاث عشرة سنة .

وكـان يجب على كل مـسلم بمكة أن يهـاجـر إلى رسول اللـه ﷺ بالمدينة وأطلق جماعة أن الهجرة كـانت واجبة من مكة إلى المدينة ، وهذا ليس على إطلاقه ، وأنه لا خصوصيـة للمدينة ، وإنما الواجب الهجرة إلى رسول الله ﷺ . قـوله : « فمن كانت هجرته إلـى الله ورسوله » أى قصـدًا ، فهـجرته إلى الله ورسولـه ، حكمًا وشرعًا ، «ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها . . . إلخ » .

نقلوا أن رجلاً كان مشركًا ،خطب امرأة مسلمة تدعى أم قيس ، فأبت أن تتزوجه حتى يسلم ، وقد هاجرت أم قيس ، فهاجر هذا الرجل بعد أن أسلم،وتزوج أم قيس ،

وكان هذا الرجل يعرف بمهاجر أم قيس .

لا غرو أن هذا الحديث النبوى الشريف ، يعتبر دستورًا للإخلاص ، حتى يكون الإيمان والعمل الصالح من هجرة وغيرها ، لوجه الله تعالى .

فإن قيل : النكاح من مطلوبات الشرع ، فلم كان من مطلوبات الدنيا ؟! قيل فى الجواب : إنه - مهاجر أم قيس - لم يخرج فى الظاهر لها ، وإنما خرج فى الظاهر للهجرة ، فلما أبطن خلاف ما أظهر ، استحق العتاب واللوم ، وقيس بذلك من خرج فى الصورة الظاهرة لطلب الحج وقصد التجارة ، وكذلك الخروج لطلب العلم ، إذا قصد به حصول رياسة أو ولاية ، « فهجرته إلى ما هاجر إليه » يقتضى أنه لا ثواب لمن قصد بالحج التجارة والزيارة ، وينبغى حمل الحديث على ما إذا كان المحرك والباعث له على الحج ، إنما هو التجارة ، فإن كان الباعث له الحج ، فله الثواب،والتجارة تبع له ، إلا أنه ناقص الأجر عمن أخرج نفسه للحج ، وإن كان الباعث له كليهما ، فيحتمل حصول الثواب ؛ لأن هجرته لم تتمحص للدنيا .

ويحتمل خلافه ، لأنه قد خلط عمل الآخرة بعمل الدنيا ، لكن الحديث رتب نية الحكم على القصد المجرد ، فأما من قصدها ، لم يصدق عليه أنه قصد الدنيا فقط ، والله أعلم [(١)] .

---

(١) الأربعون النووية بتصرف .

شعر الحديث الأول : « إنما الأعمال بالنيات »

هَذَا هُوَ الـفَارُوق يَرْوِى عن إمـــــام المرسَلـين ١
مِنْ خَيْرِ أقْوال النبـىّ حَديثــهُ للســـامــعين (١) ٢
ذاكَ الحـديثُ عن الـضـمـائر فى قُلوب المـسلمين ٣
هو قَوله : الأعـــمـــال بالنّيّات كـــونُوا فـــاهمين ٤
ربُّ السّمــــــاء هــو العَلـيمُ بـكل فعْل الـعَاملين ٥
إذ كل إنســـان لـه مــــا قـــد نَوَى ، هــذا يَقين ٦
مَن يَنْو خَيْرًا عنـد هجــــــــرتـه لرب الـعَالمـين ٧
يكـسبْ رضَاءَ الله ، ثــم رسُوله الهــــادى الأمين ٨
والخـــيــــرُ سَوفَ يَنالُه ، لا شك فى دنيـــا ودين ٩
لكن هنـاك مُهـاجــرُون ، لم يكونوا صـــادقين ١٠
قد هـاجرُوا من أجل دنيـا ، لم يكونوا مُخلصين ١١
أيضًا ومن أجل الفـساد ، فـبئسَ فـعل الخَادعين ١٢
خـابوا وقـد خَسرُوا ، فليـــسوا للإله مُهَاجِرين ١٣
اللـهُ يَعْلَمُ حَالهُمَ ، هــم فى عــــداد الكـاذبين ١٤
ما قَدْ نَوَوْهُ فواجِدوهُ (٢) ، ولن يكونوا مفلحين (٣) ١٥

---

(١) حديثه للسامعين : أى رواية الصحابى حين يقول : سمعت رسول الله ﷺ .
(٢) ما قد نووه فواجدوه : أى كل إنسان سوف يجد كل شيء مسجلا فى كتابه ولا يخفى على الله شيء .
(٣) ولن يكونوا مفلحين : الفلاح هو النجاح ، وهو فى الجنة .

٢ ـ حديث : « يا غلام ، إنى أعلمك كلمات »

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كنت خَلْف النبى ﷺ فقال :

« يا غُلامُ ! إنى أعلّمكَ كلمات : احْفظ الله يحْفظْكَ ، احفَظ الله تجِدْهُ تُجاهَكَ ، وإذا سَألْتَ فاسْأل الله ، وإذا استَعَنْتَ فاسْتَعن بالله ، واعلم أنّ الأُمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء ، لا ينفعُوكَ إلا بشىء قد كتَبَهُ الله لك ، ولو اجتمعُوا على أن يَضرُّوكَ بشىء ، لم يَضرُّوكَ إلاّ بشىء قَدْ كتَبَهُ الله عليك ، رُفعت الأقلام وجَفّت الصّحفُ » .

رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

وفى رواية غير الترمذى :

« احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله فى الرخاء ، يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » .

شرح الحديث

« احفظ الله يحفظك » أى احفظ أوامره وامتثلها ، وانته عن نواهيه ، يحفظك فى تطلباتك ، وفى دنياك وآخرتك ، قال تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل : ٩٧] وما يحصل للعبد من البلاء والمصائب ، سببه تضييع أوامر الله تعالى ؛ لقوله عز وجل : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُم ﴾ [الشورى : ٣٠] .

« تجده تجاهك » أى أمامك ، قال ﷺ : « تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى

الشدة » ، وقد نص المولى عز وجل فى كتابه ، أن العمل الصالح ، ينفع عند الشدة ، وينجى فاعله ، وأن عَمَل المصائب يؤدى بصاحبه إلى الشدة ، قال تعالى حكاية عن يونس عليه السلام :

﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) ﴾ [الصافات] .

ولما قال فرعون : ﴿ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ [يونس : ٩٠] .

قال له الملك : ﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) ﴾ [يونس] .

« وإذا سألت فاسأل الله » إشارة إلى أن العبد لا ينبغى لـه أن يعلق سرّه بغير الله تعالى ، بل يتوكل عليه فى سائر أموره ثم إن كانت الحاجة التى يسألها ، لم تجر العادة بجريانها ، على أيدى خلقه ، كطلب الهداية والعلم والفهم فى القرآن ، والسنة النبوية وشفاء المرض ، وحصول العافية من بلاء الدنيا ، وعذاب الآخرة سأل ربه ذلك ، وإن كانت الحاجة التى يسألها ،جرت العادة أن الله سبحانه وتعالى يجريها على أيدى خلقه ، كالحاجات المتعلقة بأصحاب الحرف والصنائع وولاة الأمور ، سأل الله تعالى أن يعطف عليه قلوبهم فيقول : اللهم حنّن علينا قلوب عبادك ، وما أشبه ذلك ، ولا يدعو الله تعالى بالاستغناء عن الخلق ، لأن رسول الله ﷺ ، سمع عليًا يقول : اللهم اغننا عن خلقك . فقال له : لا تقل هكذا ، فإن الخلق يحتاج بعضهم إلى بعض ، ولكن قل : اللهم اغننا عن شرار خلقك ، وأما سؤال الخلق ، والاعتماد عليهم فمذموم ، ويروى أن الله تعالى قال فى بعض الكتب المنزلة :

« أيقرع بالخواطر باب غيرى ، وبابى مفتوح ، أم هل يؤمل للشدائد سواى ، وأنا الملك القادر ، لأكسونّ من أمّل غيرى ثوب المذلة بين الناس » .

« واعلم أن الأمة لو اجتمعت . . . إلخ » لما كان يطمع فى برّ من يحبه ،ويخاف شر من يحذره ، قطع الله اليأس من نفع الخلق بقوله :

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [يونس: ١٠٧]. ولا ينافى هذا كله قوله تعالى عن موسى عليه السلام :

﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (١٤) ﴾ [الشعراء] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥) ﴾ [طه : ٤٥] . وكذا قوله : ﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء : ٧١] إلى غير ذلك ، بل السلامة بقدر الله تعالى ، والعطب بقدر الله تعالى ، والإنسان يفرّ من أسباب العطب ، إلى أسباب السلامة ، قال تعالى : ﴿ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

« واعلم أن النصر مع الصبر » قال عليه الصلاة والسلام : « لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ولا تفروا ، فإن الله مع الصابرين » .

وكذلك الصبر على الأذى ، فى موطن يعقبه النصر .

« وإن الفرج مع الكرب » هو شدة البلاء ، فإذا اشتد البلاء ، أعقبه الله تعالى بالفرج . كما قيل : اشتدى أزمة تنفرجى ، وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ [الشرح] وقد جاء فى حديث قوله ﷺ : « لن يغلب عسرٌ يُسرين » وذلك أن الله تعالى، ذكر العسر مرتين، وذكر اليسر مرتين. . . وعند العرب أن المعرفة إذا أعيدت معرفة، توحدت ، لأن اللام الثانية للعهد ، وإذا أعيدت النكرة نكرة ، تعددت . . . فالعسر ذكر مرتين معرفًا ، واليسر ذكر مرتين منكرًا ، فكان اثنين .

فلهذا قال ﷺ : « لن يغلب العسر يسرين » وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى (١) .

---

(١) شرح الأربعين النووية بتصرف .

شعر الحديث الثانى : « يا غلام ! إنى أعلمك كلمات »

المصْطفى أوْصَى الغُلامَ وكَـانَ ذا عـقْلٍ فَطين (١) ١
كـانَ الـغُلامُ رَديفَهُ (٢) هوَ خيـرةٌ بـين البـنين ٢
ذاكَ الغُلامُ هـو ابنُ عـبّاسٍ فقـيـه الأوَّلين ٣
أوْصاهُ خـيـر الخَلْقِ قـالَ له مـقـال النَّاصحين ٤
احـفَظْ إلـهكَ يـا غلامُ تَعشْ بـأمْن الآمـنين ٥
إنْ تحـفظ المَولى تجـدْه أمـامَ وجـهك باليـقين ٦
لا تـسْألنَّ سـوى الإلـه فنعـم رب العَالمين ٧
لا تسـتَعنْ إلا به ، واسـألـهُ أكْرِمْ بالْمُعين ٨
واعْلم بأنَ النـاسَ لو كـانـوا جـمـيـعًا عـازمين ٩
أن ينفـعُوك ، فلن يكـونوا دون شك قـادرين ١٠
إلا بمَا قَدْ كـان مكتـوبًا لـكم فـوق الجَبين ١١
أيضـا وإن شَاؤُوك ضَرًا (٣) فـرُّوا مُتَجمِّعين ١٢
لن يَستَطيـعُوا ذَاكَ ، بل صارُوا جـميعًا عَاجـزين ١٣
إلا بمكتـوب عـليـك ، فَذَلكَ القوْلُ المُبـين ١٤
قَد جفَّت الأقـلامُ وانطوت الصـحـائفُ مُختمين ١٥
تلكـم وصـيّة خـيْر خَلقِ الله كـونـوا مُوقنين ١٦
مَن يتخذْهَا مَبْدءًا فـالفـوز فـى دنيـا ودين ١٧

---

(١) ذا عقل فطين : أى كثير الفطنة ، وهى صيغة مبالغة .
(٢) رديفه : أى راكب خلفه على الدابة .
(٣) وإن شاء ضرًا : أرادوا أن يضروك .

٣ ـ حديث : « نحن أحق بالشك من إبراهيم »

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« نحن أحَقُّ بـالشّكِّ من إبراهـيم[1] : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾

[البقرة : ٢٦٠]

ويرحم الله لـوطا ، لقـد كـان يأوى إلى ركن شـديد ، ولو لَبِثْتُ فى السّجْن طول مالبِثَ يوسف لأجبت[2] الداعى » . رواه البخارى .

فتح البارى ٦ / ٤٧٣ .

شرح الحديث

« نحن أحق بالـشك من إبراهيم » اخـتلـف السلف فى المراد بالشـك هنا ، قـال الطبرى : سببه حصول وسوسـة الشيطان ، لكنها لم تستقر ولا زلزلت الإيمان الثابت ، هذا حينما حمل الطبرى، المعنى على ظاهره ، واستند فى ذلك إلى ما قاله ابن عباس : أرجى آية فى القـرآن هذه الآية قـوله تعـالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ .

قال ابن عباس : هذا لما يعرض فى الصدور ، ويوسوس به الشيطان ، فرضى الله من إبراهيم بأن قـال : « بلى » وسـئل عطاء عن هذه الآية قـال : دخل قلب إبراهيم

---

(١) أحق بالشك من إبراهيم : يشـير ﷺ إلى قوله تعـالى حكاية عن إبراهيم : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ ... ﴾ إلخ أى أن إبراهيم عليه السلام لم يشك ولو شك إبراهيـم لكنت أنا أحق أن أشك ، وهذا يعتبر تواضعًا من رسول الله ﷺ ، وفى الوقت نفسه دفاعًا عن الخليل إبراهيم عليه السلام .

(٢) لأجبت الداعى : هذا يعتبر ثناء من رسول الله ﷺ ، على أخيه فى النبوة : يوسف الصديق ؛ لأنه لما جاءه رسول الملك يستدعيه لمقابلته ، لم يبادر بالخروج فرحًا ، بل قال للرسول : ﴿ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ ... ﴾ الآية [يوسف : ٥٠] أى لو كنت مكانه لخرجت للقاء الملك . . . وهذا يعتبر تواضعًا منه عليه الصلاة والسلام من ناحية ، وثناء على يوسف من ناحية أخرى لكونه لم يبادر بالخروج ، بل صبر وتأنى حتى تثبت براءته .

بعض ما يدخل قلوب الناس ، فقال ذلك .

وروى الطبرى من طريق سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن إبراهيم أتى على دابة توزعتها الدواب والسباع ، فعجب وقال : رب لقد علمت لتجمعنها ولكن « رب أرنى كيف تحيى الموتى » ؟ !

وروى الطبرى أيضا ،لما اتخذ الله إبراهيم خليلا ، استأذنه ملك الموت أن يبشره ، فأذن له ، فذكر قصة معه في كيفية قبض روح الكافر والمؤمن ، قال : فقام إبراهيم يدعو ربه : رب أرنى كيف تحيي الموتى حتى أعلم أنى خليلك ،وفى رواية ليطمئن قلبى بالخلة ، ورواية ثالثة : لأعلم أنك تجيبنى إذا دعوتك ، وإلى القول الأخير جنح القاضى أبو بكر الباقلانى .

وقيل : كان سبب ذلك أن نمرود لما قال له : ما ربك ؟ ! قال : ربى الذى يحيى ويميت ، فذكر ما قص الله مما جرى بينهما ، فسأل إبراهيم بعد ذلك ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى ، من غير شك منه فى القدرة ، ولكن أحب ذلك واشتاق إليه ، فأراد أن يطمئن قلبه بحصول ما أراده (١) .

وقال ابن الحصار : إنما سأل أن يحيى الله الموتى على يديه ، فلهذا قيل له فى الجواب : ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] .

وهناك اختلاف في معنى قوله ﷺ : « نحن أحق بالشك » فقال بعضهم : معناه نحن أشد اشتياقا إلى رؤية ذلك من إبراهيم .

وقيل : معناه ، إذا لم نشك نحن ، فإبراهيم أولى أن لا يشك ، أى لو كان الشك متطرقا إلى الأنبياء ، لكنت أنا أحق به منهم ، وقد علمتم أنى لم أشك ، فاعلموا أنه لم يشك ، وإنما قال ذلك تواضعًا منه ﷺ أو من قبل أن يعلمه الله أنه أفضل من إبراهيم . . وهو كقوله لرجل ناداه قائلا : يا خير البرية قال: ذاك إبراهيم .

وقيل : إن سبب هذا الحديث ، أن الآية لما نزلت ، قال بعض الناس : شك إبراهيم ، ولم يشك نبينا ، فبلغه ذلك ﷺ فقال : « نحن أحق بالشك من إبراهيم » وأراد ما جرت به العادة فى المخاطبة ، لمن أراد أن يدفع عن آخر شيئا ، قال : أى قول

---

(١) أخرجه الطبرى عن ابن إسحاق .

أردت أن تقوله لفلان ، فقله لى ، ومقصوده ، لا تقل ذلك .

وقيل : أراد بقوله نحن أمته الذين يجوز عليهم الشك ، وإخراجه هو منه بدلالة العصمة . . وقيل : معناه هذا الذى ترون أنه شك ، أنا أولى به لأنه ليس بشك ، إنما هو طلب لمزيد البيان . . وحكى بعض علماء العربية أن أفعل ربما جاءت لنفى المعنى عن الشيئين نحو قوله تعالى : ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ [الدخان : ٣٧] أى لا خير فى الفريقين . . . ونحو قول القائل : الشيطان خير من فلان ، أى لا خير فيهما ، وعلى هذا فمعنى قوله ﷺ : « نحن أحق بالشك من إبراهيم » ـ لا شك عندنا جميعا .

قال ابن عطية : ومحمل قول ابن عباس عندى : أنها أرجى آية ، لما فيها من الإدلال على الله ، وسؤال الإحياء فى الدنيا ، أو لأن الإيمان يكفى فيه الإجمال ولا يحتاج إلى تنقير وبحث ، قال : ومحمل قول ابن عطاء : دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس ، أى من المعاينة ، قال : وأما الحديث فمبنى على نفى الشك ، والمراد بالشك فيه الخواطر التى لا تثبت ، وأما الشك المصطلح ، وهو التوقف بين الأمرين ، من غير مزية لأحدهما على الآخر ، فهو منفى عن الخليل قطعًا ؛ لأنه يبعد وقوعه ممن رسخ الإيمان فى قلبه ، فكيف بمن بلغ رتبة النبوة ؟!

قال : وأيضا فإن السؤال لما وقع بكيف ، دل على حال شىء موجود مقرر عند السائل والمسؤول ، كما تقول : كيف علم فلان ؟! فكيف فى الآية سؤال عن هيئة الإحياء ، لا عن نفس الإحياء ، فإنه ثابت مقرر .

وقال ابن الجوزى : إنما صار أحق من إبراهيم لما عانى من تكذيب قومه ، وردهم عليه ، وتعجبهم من أمر البعث فقال : أنا أحق أن أسأل ما سأل إبراهيم ، لعظيم ما جرى لى مع قومى ، المنكرين لإحياء الموتى ، ولمعرفتى بتفضيل الله تعالى لى ، ولكن لا أسأل ذلك .

﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ الاستفهام للتقرير ، ووجهه أنه طلب الكيفية وهو مشعر بالتصديق بالإحياء . . ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ أى ليزيد سكونا بالمشاهدة المنضمة إلى اعتقاد القلب ، لأن تظاهر الأدلة أسكن للقلوب ، وكأنه قال : أنا مصدق ، ولكن للعيان لطيف معنى .

وقال عياض : لم يشك إبراهيم بأن الله يحيى الموتى ،ولكن أراد طمأنينة القلب .

وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء ، فحصل له العلم الأول بوقوعه ، وأراد العلم الثانى بكيفيته ومشاهدته ، ويحتمل أنه سأل زيادة اليقين ، وإن لم يكن فى الأول شك ، لأن العلوم قد تتفاوت فى قوتها،فأراد الترقى من علم اليقين إلى عين اليقين ، والله أعلم .

« ويرحم الله لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد » أى إلى الله سبحانه وتعالى ، يشير ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ [هود] ويقال: إن قوم لوط لم يكن فيهم أحد يجتمع معه فى نسبه ، لأنهم من سدوم ـ الشام ـ وأصل إبراهيم ولوط من العراق ، فلما هاجر إبراهيم إلى الشام . هاجر معه لوط ، فبعث الله لوطا إلى أهل سدوم ، فقال : لو أن لى منعة وأقارب وعشيرة ، لكنت أستنصر بهم عليكم ، ليدفعوا عن ضيفانى ، ولهذا قال لوط : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ ، ولكنه عنى عشيرته ، فما بعث الله نبيا إلا فى ذروة من قومه .

وقال النووى : يجوز أنه لما اندهش بحال الأضياف قال ذلك ، أو أنه التجأ إلى الله فى باطنه ، وأظهر هذا القول للأضياف اعتذارًا ، وسمى العشيرة ركنا ، لأن الركن يستند إليه ويمتنع به ، فشبههم بالركن من الجبل ؛ لشدتهم ومنعتهم .

« ولو لبثت فى السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعى » أى لأسرعت الإجابة فى الخروج من السجن ، ولما قدمت طلب البراءة ، فوصفه بشدة الصبر حيث لم يبادر بالخروج . . . وإنما قاله ﷺ تواضعًا . . . والتواضع لا يحط من مرتبة الكبير ، بل يزيده رفعة وجلالاً .

وقيل هو من جنس قوله ﷺ : « لا تفضلونى على يونس بن متى » وقيل : إنه قال هذا قبل أن يعلم أنه أفضل من الجميع ، والله أعلم .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم [1] .

(١) فتح البارى بتصرف .

شعر الحديث الثالث : « نحن أحق بالشك من إبراهيم »

هَذَا ابنُ صخر [١] رَاوِيًا بالصّدقِ من قَوْلِ الأمين ١
يا قَوْمُ قال المصطفى فى قوله نورٌ مُبين ٢
عن قول إبراهيم إذ ناجى إله العالمين ٣
فى قوله أرنى إلهى كيفَ تُحْيى الهالكين ٤
قال الإله لهُ : ألسْتَ مُصَدِّقًا فى الموقنين ؟! ٥
كانَتْ إجابته ـ بلى ـ لكن أريد لأستبين ٦
إن كان هَذَا منه شكًا ، فهو شكُّ المؤمنين ٧
الشك نحن بِهِ أحقُّ ، فنعم شكُّ المرسلين ٨
إذ أنهم بالشك يبغون الحقيقة جاهدين ٩
من بَعد هذا قال عن لوط مقال الصادقين ١٠
لوطٌ نبيٌّ الله فى قوم من المتطاولين ١١
فى قومه الأوغاد كانُوا للفواحش فاعلين ١٢
قدْ كانَ يخشى قَوْمَه من فِعْلهم ذاكَ المشين ١٣
لكنّ لوطًا ويحهم يأوى إلى ركْنٍ رَكين ١٤
عن يُوسُفَ الصديق أيضا قال قول المُعْجَبين ١٥
أثْنى عليه لكونه ، لم يَسْتَجبْ فى المسْرعين ١٦
رضىَ البَقَاءَ بسجنه ، يا بِئْسَ سَجْنُ الظالمين ١٧
حتى تَحَقَّقَ شَرْطُهُ ، أنْعِم بِشرْطِ الواثقين ١٨
لو كنتُ حقا مثله فى السجن عانيت السنين ١٩
إذ لاسْتَجَبْتُ لأخْرُجَنْ من ذلك السّجْن المهين ٢٠

---

(١) ابن صخر . . هو الصحابى الجليل أبو هريرة رضى الله تعالى عنه وهذه كنية كناه بها النبى ﷺ واسمه الحقيقى عبد الرحمن بن صخر الدوسى ، وهو من كبار الصحابة الذين حفظوا للأمة الإسلامية هذا الركن العظيم من الشريعة المطهرة هى ـ السنة النبوية المطهرة ـ أسلم فى السنة السابعة من الهجرة عام خيبر ،وروى خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثًا .

٤ ـ حديث : « لا عدوى ولا طيرة »

عن أبى هــريرة رضـــى الله تعــالى عـــنه ، أن رســـول الله ﷺ قال : « لا عَـــدْوَى [١] ولا طيـرةَ [٢] ولا هَامَّةَ[٣] ولا صَـــفَرَ [٤] ، وفِرَّ مِنَ المجذوم [٥] كما تَفِرّ من الأسد »[٦] .

شرح الحديث

« لا عدوى ولا طيـرة . . . إلخ » فقـال أعرابى : يا رسـول الله ، فمـا بال إبلى تكون فى الرمل كأنها الظباء ، فيـأتى البعير الأجرب ، فيدخل بينها فيـجربها ؟! فقال ﷺ : « فمن أعدى الأول ؟! » .

تساؤل الأعرابى ، هو بناء عـلى ما كانوا يعتقـدون من العدوى ، أى يكون دخول البعـير الأجرب ، بين الإبل السلـيمة ، سـببًا لوقوع الجـرب بها ، . . وهذا من أوهام الجهال ، كانوا يعتقدون أن المريض إذا دخل فى الأصحاء أمرضهم ، فنفى الشارع ذلك وأبطله . . فلما أورد الأعرابى الشبهة،رد النبى ﷺ بقوله :« فمن أعدى الأول ؟! » ، وهو جواب فى غاية البلاغة والرشاقة ، وحاصله من أين جاء الجرب للأول ؟! .

فإن أجيب من بعير آخـر ، لزم التسلسل . . فإن أجيب بأن الذى فعله فى الأول ، هو الذى فعله فى الـثانى ، ثبت المدعى ؛ وهو أن الله سبـحانه وتعـالى هو الذى فعل بالجميع ذلك ، فهو الخالق القادر على كل شىء .

---

(١) لا عدوى : أى لا يعدى شىء شيئا .

(٢) ولا طيرة : لا تشاؤم .

(٣) ولا هامة : كانت العرب فى الجاهلية تقول : إذا قتل الـقتيل ، ولم يؤخذ بثأره ، خرجت من رأسه هامة ـ دودة ـ تدور حول قبره فتقول : اسقونى ، فإن أخذ بثأره ذهبت ، وإلا بقيت .

(٤) ولا صفـر : يقال : إن المقصـود بصفر ، هو داء فى البطن ، وقـيل : المراد به ، شهر صـفر ، وذلك أن العرب كانت تحرم صفر ، وتستحل المحرم ، فجاء الإسلام برد ما كانوا يفعلونه .

(٥) المجذوم : المريض بالجذام .

(٦) فتح البارى ١٠ / ١٦٧ .

« ولا طيرة » الطيرة ، هى التشاؤم ، وهى مصدر تطير ، وأصل التطير أنهم كانو فى الجاهلية يعتمدون على الطير ، فإذا خرج أحدهم لأمر ما مسافراً،فإن رأى الطير طار يمنة ، تيمن به واستمر ماضياً فى سفره ، وإن رآه طار يسرة ، تشاءم به ورجع ..وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها .

فجاء الشرع بالنهى عن ذلك ، وكانوا يسمونه : السانح ، والبارح ، فالسانح ما ولاك ميامنه ، بأن يمر عن يسارك إلى يمينك،والبارح بالعكس ،وكانوا يتيمنون بالسانح ، ويتشاءمون بالبارح،وليس فى شىء من سنوح الطير وبروحها ، ما يقتضى ما اعتقدوه ، وإنما هو تكلف بتعاطى ما لا أصل له ... إذ لا نطق للطير ولا تمييز ، فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه ، وطلب العلم من غير مظانه ، جهل من فاعله .

بيد أن الإسلام جاء فصحح المفاهيم والعقائد ، وقد كان رسول الله ﷺ يعلم ما جبلت عليه نفوس الناس قبل الإسلام ، بكثير من الأوهام والخرافات ، فقال : « ثلاثة لا يسلم منهن أحد : الطيرة والظن والحسد ، فإذا تطيرت فلاترجع ، وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا حسدت فلا تبغ » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من عرض له من هذه الطيرة شىء ، فليقل : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك » (١) .

« ولا هامة » هى بالتشديد قيل : هى واحدة الهوام ذوات السموم وقيل :

دواب الأرض التى تهم بأذى الناس ، وهذا لا يصح نفيه إلا إرادة أنها لا تضره لذواتها ، وإنما تضر إذا أراد الله إيقاع الضرر بمن أصابته .

وقد ذكر الزبير بن بكار فى الموفقيات أن العرب كانت فى الجاهلية تقول : إذا قتل الرجل ولم يؤخذ بثأره ، خرجت من رأسه هامة - دودة - فتدور حول القبر فتقول : اسقونى اسقونى ، فإن أخذ بثأره ذهبت ، وإلا بقيت . وفى ذلك يقول شاعرهم :

يا عمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى   اضربك حتى تقول الهامة اسقونى

قال : وكانت اليهود تزعم أنها تدور حول قبر القتيل ، سبعة أيام ، ثم تذهب ، لكن قال القزاز:الهامة طائر من طير الليل،كأنه يعنى البومة ،وقال ابن الأعرابى : كانوا

---

(١) أخرجه البيهقى فى الشعب .

يتشاءمون من البومة ، فإذا وقعت على بيت أحدهم يقول : نعت إلى نفسى ، أو أحدا من أهل دارى . . . وقال أبو عبيد : كانوا يزعمون أن عظام الميت ، تصير هامة فتطير ، ويسمون ذلك الطائر ـ الصدى ـ فعلى هذا لا حياة لهامة الميت ، ولا شؤم بالبومة .

« ولا صفر » قيل : هو داء يأخذ بالبطن ، وأنه مرض معد ، أعدى من الجرب ، عند العرب ، لكن القول الذى نميل إليه ونرجحه هو قول آخر . . . وهو أن المراد به هو شهر صفر ، وذلك أن العرب كانت تحرم شهر صفر ، وتستحل شهر المحرم ، فجاء الإسلام بردّ ما كانوا يفعلونه ، لذلك قال ﷺ : « ولا صفر » .

« وفر من المجذوم كما تفر من الأسد » أخرج مسلم من حديث عمرو بن الشريد الثقفى ، عن أبيه قال: كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ : « أن قد بايعناك فارجع » قال عياض : اختلفت الآثار فى المجذوم ، فجاء ما تقدم عن جابر أن النبى ﷺ أكل مع مجذوم وقال : « ثقة بالله وتوكلاً عليه » قال : فذهب عمر وجماعة من السلف ، إلى الأكل معه ، ورأوا أن الأمر باجتنابه منسوخ ، وممن قال بذلك : عيسى بن دينار من المالكية قال : والصحيح الذى عليه الأكثر ، ويتعين المصير إليه ، أن لا نسخ ، بل يجب الجمع بين الحديثين ، وحمل الأمر باجتنابه والفرار منه ، على الاستحباب والاحتياط ، والأكل معه على بيان الجواز .

هكذا اقتصر القاضى عياض، ومن تبعه على حكاية هذين القولين، وحكى غيره قولا ثالثاً وهو الترجيح ، وقد سلكه فريقان : أحدهما سلك ترجيح الأخبار الدالة على نفى العدوى، وتزييف الأخبار الدالة على عكس ذلك ، مثل حديث الباب فأعلوه بالشذوذ ، وبأن عائشة أنكرت ذلك ، فأخرج الطبرى عنها : أن امرأة سألتها عنه فقالت : ما قال ذلك رسول الله ﷺ ، ولكنه قال : « لا عدوى » وقال : « فمن أعدى الأول ؟! » .

قالت : وكان لى مولى به هذا الداء ، فكان يأكل فى صحافى ، ويشرب فى أقداحى ، وينام على فراشى .

وعلى كل فطريق الجمع بين الحديثين ، نفى العدوى جملة ، وحمل الأمر بالفرار من المجذوم ، على مراعاة خاطر المجذوم ؛ لأنه إذا رأى الصحيح البدن ، السليم من الآفة ، تعظم مصيبته ، وتزداد حسرته .

ونحوه حديث : « لا تديموا النظر إلى المجذومين » فإنه محمول على هذا المعنى .

« لا عدوى » المخاطب بذلك من قوى يقـينه ، وصح توكله بحيث يستطيع أن يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى . كـما يستطيع أن يدفع التطير الذى يقع فى نفس كل أحد ، لكن الإنسان القـوى اليقين ، لا يتأثر به ، وهذا مـثل ما تدفع قوة الطبيـعة العلة فتـبطلها ، وعلى هذا يحمل حديث جابر ، فى أكل النبى ﷺ مع المجذوم من القصعة .

وحيث جاء « فر من المجذوم » كان المخاطب بذلك من ضعف يقينه ، ولم يتمكن من تمام التوكل ، فـلا يكون له قوة على دفع اعتـقاد العدوى . . فـأريد بذلك سد باب اعتقـاد العدوى عنه ، بأن لا يباشر ما يكون سـببا لإثباتها ، وقريب من هذا ، كـراهيته ﷺ للكى ، مع إذنه فـيـه ، وقـد جعل ﷺ كـلاً من الأمـرين ليـتـأسى به ، كل من الطائفتين . . . وهناك أقوال كـثيرة ، أمسكنا عنهـا تخفيفا على القـارئ ، لكنها كلها لا تخرج عما اخترناه .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث الرابع : « لا عدوى ولا طيرة »

هذا ابن صخر قد روى من قول خير المرسلين ١
قال النبى موضحًا للناس كلا أجمعين ٢
لا تَفْعَلوا فعْل الجهالة قبل إسلامٍ وَدين ٣
كانت عقائدهم مَزِيجًا من سلوك الجاهلين ٤
أى لا تظنُّوا ظنهم كانوا بحق مُخطئين ٥
الظن أن مريضهم يخشونه متزاورين ٦
من زاره يخشى من العَدْوى من المرض اللعين ٧
لكن هذا الفهم ليس هو الحقيقة واليقين ٨
أى أنَّ لا عَدْوى تُصيبُ الأهل أو للزائرين ٩
أما التَّطيُّر فهو ما كانوا به مُتأثرين ١٠
إن طار طير للْيَسَارِ تراجَعُوا متقَهْقرين [(١)] ١١
أو إن يَطِرْ نحو اليمين ، تقدَّموا مُتَفائلين ١٢
إن التطيُّر ليسَ حقًا من صفات المؤمنين ١٣
كانت هناك خُرافَةٌ فيهم منَ المتقدمين ١٤
قَبْر القَتيل يَصيحُ طيْرٌ عندهُ كالظامئين ١٥
هَذا إذا لم يأخذُوا بالثأر فوراً مُسْرِعين ١٦
هذا لعَمْر الله لا يرضَاهُ دينُ المسْلمين ١٧
شَهْر المحرّم من شُهُورٍ أربَع فى المكرمين ١٨
إنّ القتال محرم فيهم من الذكر المبين [(٢)] ١٩
نَقَلُوا الحرام لشهْر صَفَر كى يغيروا معتدين ٢٠
أمّا المريضُ من الجذام فذاكم المرض المشين ٢١
أى فرّ منْه كما تفرّ من الأسود الكاسرين ٢٢

---

(١) تراجعوا متقهقرين : أى عاد المسافر متشائمًا إذا رأى طيرًا طار نحو اليسار ، وإذا طار الطير نحو اليمين ، فإن المسافر يمضى ولا يعود .

(٢) من الذكر المبين : من قوله تعالى : ﴿ إنّ عدّةَ الشُّهُورِ عندَ الله اثْنا عشَرَ شهْرًا في كتابِ الله يوْمَ خلَقَ السَّمواتِ والأرْضَ منْهَا أربعةٌ حُرُم ﴾ [التوبة : ٣٦] .

٥ ـ حديث : السعداء فى الدنيا والآخرة

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« سَبْعَةٌ يُظلّهم اللهُ فى ظله يومَ لا ظلّ إلا ظله (١) : إمامٌ عَادلٌ ، وشابٌ نشأ فى عبادَة الله ، ورجلٌ قلبُه معَلقٌ في المَساجد ، ورجلان تَحابا فى الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عَليه .

وَرَجلُ دعتْه امرأةٌ ذاتُ منْصب وجَمال فقال : إنى أخافُ الله .

وَرَجُلٌ تَصَدَّق بصَدقَة فأخْفَاها ، حتى لا تَعلمَ شمَالُهُ ما تُنفق يَمينه ، ورجلٌ ذكر الله (٢) خاليًا فَفَاضت عينَاه » (٣) .

شرح الحديث

«سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله» المراد بالظل هنا هو الظل الحقيقى، حيث يكون هؤلاء السعداء ، تحت ظل العرش يوم القيامة ، بقرينة قوله : « يوم لا ظل إلا ظله » فلا يمسهم حر الشمس ولا وهجها ،وقيل :المراد بالظل ، الكرامة والحماية ، فهو كناية عن الرعاية والحماية ، والأول أرجح .

وإضافة الظل إلى الله إضافة تشريف ، وهو على حذف مضاف ، أى فى ظل عرشه عز وجل ، وإنما أضافه إليه تكريما وتشريفًا ، كما يقال للمسجد : بيت الله .

« إمام عادل » المراد بالإمام ، الحاكم أو السلطان ، ويشمل أيضا القاضى وكل من له ولاية على غيره ، والعادل الذى يحكم بالعدل بين الناس ، فلا يميل مع هوى ولا يرتشى بمال .

---

(١) لا ظل إلا ظله :أى يوم القيامة ، لا ظل هنالك إلا ظل عرش الله ،والآمنون من العقاب ، يكونون يومئذ ، فى ظل عرش الله .

(٢) ذكر الله خاليًا : أى بينه وبين نفسه ، بحيث لم يره أحد ، فبكى خوفًا من الله عز وجل .

(٣) متفق عليه

«وشاب نشـأ فى عبـادة ربه » شاب تربى فى أسـرة كريمة ، بين أبوين مـسلمين ، يخافان اللـه عز وجل ، يؤديان ما فرض الله عليـهما من العبـادات ، يحلان الحلال ، ويحرمان الحرام ، فلا غرو أن ينشأ الولد فى أسـرة كهذه ، على ما وجد أبويه ، يتخلق بأخلاقـهما .وقد ينشـأ شاب فى أسرة لا تحرص على الـعبادات ، لكنه يلتقى بأصـدقاء ذوى خلق ودين فيتأثر بهم ، ويهتدى إلي الطريق القويم .

« ورجل قلبه معلق بالمسـاجد » أى محب لها حبًا شديدًا ، فهـو ينتظر الصلاة بعد الصلاة ،ويصليها جماعة ،فلا يؤخرها عن وقتها ،كما قال الله تعالى فى هذا الصنف : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ [المؤمنون] .

« ورجلان تحابا فى الله ، اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه » أى لأجله لا لغرض دنيوى وتحابا ، أى أن كلا منهمـا أحب صاحبه فى الله ، الضمير فى اجـتمعا يرجع إلى الحب فى الله ، والمعنى : اجتمعا على ذلك الحب ، وتفـرقا عليه ، فهو إشارة إلى أن الحب تمكن من قلـب الرجلين ، تمام التـمكـن من أجل الله تعـالى ، لا لـشىء آخـر ، وفى الحـديث الشريـف : « من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنـع لله ، فقـد استكمل الإيمان » .

« دعته امرأة ذات منصب وجمال » أى امـرأة صاحبة جاه ، من أصل أو شرف أو سلطان أو مال ، وفى الحديث الشريف : «تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحـسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » أى إن لم تفعل هلكت .

« أخاف الله » الخـوف من الله ، هو الرهبة من عـذابه ، وهو دليل الإيمان ، قال تعالى : ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧٥ ﴾ [آل عمران] .

« شمـاله ما تنفق يمينه » الشمـال واليمين ، همـا اليدان اللتان بجـانبى الإنسان ، وضرب المثل بها للتوضيح،فلو فرضنا أن الشمال رجل مستيقظ وتصدق الإنسان بيمينه، لما شعر ذلك الرجل الذى عن يساره .

« ذكر الله خاليًا ففـاضت عيناه » أى تذكر عظمة الله وجلاله : فبكى من خـشيته سبـحانه وتعـالى وكان ذلك بعـيدًا عن الناس ؛ لأن ذلك أبعـد عن الرياء ، فانهـمرت دموعه كأنها فيض لغزارتها وذلك دليل على الخوف من الله ، وقوة اليقين به سبحانه ، وفى الحديث : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى

سبيل الله » .

الشرح الأدبى :

فى هذا الحديث الشريف تقسيم لطيف وبيان شاف مجيد لأولئك السعداء الأبرار ، الذين نالوا الكرامة الإلهيــة ، والسعادة الأبدية فى دار الخلد والنعيم ، بسبب مـا قدموا فى الدنيا من صالح الأعمال ، واتصفوا به من جميل الخصال .

فالرسول الكريم ﷺ يحـدثنا عن شمول العناية الإلهية ، والرحـمة الربانية ، تحت ظل عرش الله الكريم لكل من اتصف بتلك الصفات أو بواحدة منها وقد أوضحها عليه الصلاة والسلام فى أجـمل عرض ، وأقوى بيان ليلهب نفوس المؤمنين ، ويحـرك فيهم روح الجسد والإخلاص والعمل الصالح ، ليسيروا على النهج القويم ، ويقتدوا بالأخيار الأطهار من عباد الله الصالحين . . . فهو يدعـو أولاً إلى مراعاة العدل ، ومجانبة الظلم لكل من تولى شأنًا من شـؤون المسلمين ، أو ولىَ أمرًا من أمورهم سـواء كانت الولاية عامـة أو خاصـة ، فالعـدل شريعـة الله ، والله تعالى يمقت الظلم ويكرهــه ، أيا كان مصدره ، وصدق الله حيث يقول :

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى . . . ﴾ [ص : ٢٦] وهو يدعو ثانـيا الشبـاب إلى الإقبـال على طاعة الله وعبـادته ، منذ بدء حياتهم ونعومـة أظفارهم ، ليكونوا رجال المستقبل ، وليحقـقوا ـ الجيل المثالى ـ الذى ينشـده الإسلام ، ولقد أثنى الـقرآن على فتـية أهل الكهف بـقوله : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) ﴾ [الكهف] .

فالشباب موطن الرجاء والأمل ، وهم عدة المستقبل .

وثالثـا : إشـادة بفضل ذلك الرجـل الصالح الذى عـمـر الإيمان قلبـه ، وتعلقت جوارحه وقلبه بذكر الله عن طريق المحافظة على الصلاة التى هى عماد الدين ، لتتشرب القلوب حب الاجتماع والألفة ، وتتوحد صفوف الأمة ، عن طريق الاجتماع فى بيوت الله ، ولقد أثنى الله عز وجل على هذا الصنف من الناس بقوله :

﴿ فِـي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيـهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيـهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ . . . ﴾ [النور] .

ورابعًا : يدعـو الرسول الكريم إلى ـ الحب فـى الله ـ ابتغـاء وجهـه الكريم ، لا لغرض دنيـوى ، أو كسب مادى ، أو مـصلحة دنيئـة، وهل الدين إلا حب فى الله ، واجتـماع على مـرضاته ، والتـقاء على دعـوة الحق ، التى جاء بهـا رسول الله ﷺ ، ليكون الحب طهرًا وصفاءً وسموًا ونقاءً .

وخامـسًا : إظهار لأسمـى ما تصورته البـشرية ، من طهـارة وسمو وصـفاء ، إنه طهارة الوجدان،وصفاء الإيمان ، الذى يعصم صاحبه من الانزلاق ،فى مزالق الرذيلة ، فهـا هى الفتنة والإغـراء تتزيا بصـورة واقعيـة فى صورة ـ امـرأة جميـلة ـ ذات حسب ونسب، تدعو الرجل إلى نفسـها ، وتراوده على عمل الفاحـشة بها ، ولكنه تجنب كل ذلك خوفًا من الله .

وسادسًا : نرى روعـة البيـان ، فى أجمل صـورة يصورها الرسـول ﷺ ، صورة ذلك الرجل المحسن الذى تصدق بصـدقة خفية ، عن أعين الناس ابتغـاء مرضاة الله ، فأخفى صدقته حتى عن أقـرب ما يتصل به ، ألا وهى شماله ، حتى لو تصورنا أن يمينه تصدقت بشىء ، لما شعرت شماله بما فعلته يمينه ، من الإنفاق فى سبيل الله .

وأخيرًا ، يختم عليه الصلاة والسلام ، حـديثه الشريف ، بفضل البكاء من خشية الله ، فلله ما أروع هدى الرسول ، وما أجمل حكمته ومغزاه !

إنه الهدى النبوى ، والحكمة المحمدية من كتاب « من كنوز السنة » بتصرف .

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

شعر الحديث الخامس : السعداء فى الدنيا والآخرة

يَرْوى الصَّحـــــابىُّ الجَليـلُ أبو هـريرة فـى يَقين ١
من قَول خــــيــر الخَلْق طرا خَتمُ كـلّ المرسَلين ٢
قـــال الـنبىُّ : فَسَبْعَةٌ مـن أمّتى فى الفـــائزين ٣
يومَ القيـــامَة فى ظلال العـرش صـــاروا آمنين ٤
لاظلّ يـومَ الحــــشـــــرِ إلا ظل ربّ الـعَالمين ٥
منـهم إمــامٌ عـــادلٌ بـالعلم والـعـــزم الأمين ٦
بالعـــدْل يقـــضى بَين كل النـاسِ فى حَزْم ودين ٧
لكـنّ ثانيـــهـم فـــتًى فى نَشْأة المتــعـــبّدين ٨
هو فى الشـــبَابِ ذَوى الإرادة فى عـــداد المتـــقين ٩
هذا ، وثالـثـهم ، فـــذُو قلـبٍ مُضىءِ باليـــقين ١٠
هو بـالمسَاجد قـــد تَعلقَ قـلبُه كـــالعـــاشقين ١١
أيضـــا ، ورابعُهم مُصَاحبــةُ الرّجـــال المؤمنين ١٢
حبٌ لأجل اللـه جـمـــعًا أو فـراقًا لا يُشين (١) ١٣
لكنّ خـــامســـهُم ، فَذَاك الـعفّ عن فِعْلٍ مُشين ١٤
حَسْناءُ تـدعُوهُ لمالٍ مـع جَمـــالِ الـسّاحـــرين ١٥
فـورًا أجـــابَ أخـافُ ربى أن أكـون المســتـهين ١٦
والســـــادس المعطاءُ ذُو كـفّ سَخىّ عن يـقين ١٧
لا تعْلمـنّ شمـــالُه مـــا كـــان يـنفقُ باليـــمين ١٨
لكـنّ سَابعَهُم تقىٌّ من كــــبـــار العــــارفين ١٩
يـبكـى إذا ذكـــــر الإلـه ولا يُرى للـناظريـن ٢٠

(١) جمعًا أو فراقًا لا يشين : أى يجتمع الاثنان المتحابان فى الله ، ويفترقان على الحب فى الله أيضا .

٦ ـ حديث : تربية الأبناء

عن على كرم الله وجهه ، أن النبى ﷺ قال :

« أدِّبوا أولادكم [(١)] علـى ثلاث خصَال [(٢)] : حُبِّ نـبيِّكُم ، وحُبِّ آل بيته ، وتلاوةَ القرآن ، فإن حمَلة القرآن فى ظِّلِّ عَرش الله يوم القيامة ، يوم لا ظل إلا ظلَه مع أنبيائه وأصفيائه [(٣)] » [(٤)] .

شرح الحديث

« أدبوا أولادكم » الأدب : بمعنى التربية الفاضلة ، والخلق الحميد ، وفى الحديث الشريف : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » أى ربانى فأحسن تربيتى . الأولاد : هم جمع الذكور والإناث . . قـال تعالى : ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ** ﴾ [النسـاء : ١١] وأما الابن فهو خاص بالذكر .

« على ثلاث خصال » الخصال : جمع خصلة وهى السـجية والخلة الحميدة ، قال ﷺ للأشج : « إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة » ، لا غرو أنهما من أشرف الخصال فى بنى الإنسان .

« حب نبيكم » لا غرو أن حب النبى محـمد ﷺ ، مفضل على حب كل شىء : من المال والأهل والولد والنفس أيضا .

والحـب الصـادق لرسول الله ﷺ هو اتبـاعه فى كل مـا جاء به من عند اللـه عز وجل ، ثم العمل بسنته والحرص عليها دون تفريط أو إفراط .

« وحب آل بيـته » آل بيت النبى ﷺ ، هم أقـرباؤه وعتـرته ، وقد أثنى اللـه عز وجل على آل البيت بقوله :

---

(١) أدبوا أولادكم : الأدب بمعنى التربية الفاضلة ، وفى الحديث الشريف : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

(٢) ثلاث خصال : الخصلة ، هى السجية والخلة الحميدة .

(٣) أصفيائه : جمع صفى : وهو الحبيب المقرب .

(٤) رواه الطبرانى .

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) ﴾ [الأحزاب] .

« وتلاوة القرآن فإن حملة القرآن فى ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه » .

لا شك أن الحرص على تلاوة القرآن ، من أفضل أعمال بنى الإنسان ؛ لأنه يجعله دائمًا على ذكر من ربه ، هذا فضلا عن التدبر فى معانيه السامية . . لذلك رفعه الله إلى أعلى الدرجات بتلاوته للقرآن ، مع الأنبياء والأصفياء فى الجنة .

المعنى العام :

بالتربية السليمة والأخلاق القويمة ، تبنى الأمم وتشاد الحضارات وتتربى الأجيال الصاعدة التى تقيم المدنية والرقى ، وتوجد الحضارة والازدهار ، ومن أجل إشادة دعائم المجتمع على أسس متينة كريمة ،اهتم الإسلام بتربية الأبناء ، وتنشئتهم النشأة الصالحة ، التى تجعل منهم رجالاً وأبطالاً ، وتدفع بهم إلى المعالى ، وإلى محاسن الأمور .

ولقد وجه النبى الكريم ﷺ الآباء إلى تربية الأبناء والعناية بهم ، وتعويدهم على الفضائل ومكارم الأخلاق ، وذلك بغرس بذور الإيمان فى قلوبهم ، ورعاية جميع شؤونهم ؛ لأن الطفل إذا أهمل فسدت أخلاقه ، وتلوثت طباعه ، وأصبح شخصا غير مهذب ، وغير نافع فى الحياة بل أصبح جرثومة فى المجتمع .

وأول ما ينبغى على الوالد فعله أن يعود طفله على طاعة الله ومحبته ، وتعظيم شعائر الدين ، وأن يغرس فى نفسه حب الرسول العظيم ، الذى حقه أعظم من حق الوالدين وحبه ينبغى أن يقدم على حب الوالد والولد ، بل على حب النفس ؛ لأنه سبب لسعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة ، ولولاه لبقينا فى الشقاء والضلال ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : « والذى نفسى بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » ، ومن علامات الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إلى الإنسان من كل أحد فى هذه الحياة .

ومن محبة الرسول ﷺ تتولد محبة آل البيت آله وعشيرته،لأن من أحب شخصًا ، أحب من يلوذ به وينتسب إليه ، ولا شك أن آل بيت النبى محمد ﷺ هم أحق الناس بالحب والتقدير ، وقد أثنى الله عليهم بقوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٣٣) ﴾ [الأحزاب] .

ومما ينبغى العناية به والحرص عليه كل الحرص ، أن نعلم الطفل تلاوة الكتاب المجيد ، وأن نغرس حبه وتعظيمه فى قلبه ، فبه يتنور المؤمن ، وبه يصبح فى مراتب أهل الشرف والفضل ، الذين قال عنهم رسول الله ﷺ : « أشراف أمتى حملة القرآن » وقال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

فهم السادة ، وهم القادة ، ولهذا ختم عليه الصلاة والسلام الحديث الشريف بقوله : « فإن حملة القرآن فى ظل عرش الله ، يوم لا ظل إلا ظله ، مع أنبيائه وأصفيائه » .

وكفى بهذا شرفًا وفخرًا لحملة القرآن الكريم . . اللهم وفقنا لتلاوته وارزقنا العمل بما فيه إنك سميع مجيب الدعاء .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث السادس : تربية الأبناء

هـذَا عَلـىٌّ فى حَديـثٍ عـن إمامِ المتــــــقـين ١

قـــــال النـبىُّ لـنا وكـنّا للـمــــــقَالةِ مُدْركـين ٢

أن أدبُوا أولادكم ، لا تـتــــركــــوهـم جــاهـلين ٣

خــــيْرُ الخـــصَالِ ثـلاثةٌ ، فَلتَعْلَمُوا العلـم اليَقين ٤

فلْتغْرِسُوهَا (١) فى نفــوسِ النّشْءِ بالقــول الأمين ٥

أولى الثــلاث لتـعـلمـوها ، حُبّ خَتـم المرسلين ٦

حُبُّ النبـىِّ مُحــمــــدٍ فـى القلب نُور المهـــتَدين ٧

ثانـى الثـــلاثِ ، وحبُّ آل البَيْتِ طـبعُ المؤمـنين ٨

إذ حــــبّهـم يمحُو الجَهــــالـةَ من عُقُول النـاشئين ٩

لـكنّ ثَالثَةَ الـثّلاثِ ، تلاوة الـذكـــــــر المبـين ١٠

إن التـــــلاوةَ قـــد تُضِىءُ مِنَ الـقُلوبِ المظلـمين ١١

من يقـــــرأ القـــــرآن عند اللـه بين الذاكـــــرين ١٢

فـى ظــل عَرْشِ الـلـــهِ يَوْمَ الحَشْرِ بَيْن الآمنـين ١٣

مع أنبـيـاء الـله ثم الأصـفـيـاءِ (٢) المخـلصـين ١٤

فلتلزمـوا هذى الثـلاث لتصبـحوا فى الفـائزين ١٥

---

(١) فلتغرسوها : أى لقنوها أولادكم .

(٢) الأصفياء : هم الصفوة من خيار خلق الله .

٧ ـ حديث : الصلوات الخمس كفارة

عن أبى هـــريرة رضـــى الله تعـالى عنه قال : سـمعتُ رسُولَ الله ﷺ يقول :

« أرَأيتُم لَـوْ أن نهــرًا ببـاب أحَدكُم يغْتَسِلُ فيه كل يوم خـمسًا [١] ، ما تقولُ ذَلك ، يُبقى من دَرَنه [٢] ؟!

قالوا :لا يُبقى من دَرنه شيئًا ، قال : فذلك مَثَلُ الصّلوات الخمس [٣]، يمحُو الله به الخطَايا » [٤] .

شرح الحديث

« أرأيتم لو أن نهرًا » أرأيتم أى أخبرونى هل يبقى ؟ !

لو أن نهرًا ، قال الطيبى : لفظ لو يقتضى أن يدخل على الفعل وأن يجاب ، لكنه وضع الاستفهام موضعه تأكيدًا وتقريرا . . والتقدير لو ثبت نهر صفته كذا لما بقى كذا ، والنهر ما بين جنبى الوادى سمى بذلك لسعته ، وكذلك سمى النهار لسعة ضوئه .

« ما تقول ؟! » كذا فى النسخ المعتمدة ، بإفراد المخاطب ، والمعنى ما تقول : أيها السامع ؟ ولأبى نـعيم فى المستـخرج على مـسلم ، وكذا الإسمـاعيلى والجـوزقى ـ ما تقولون ـ بصيغة الجمع ، والإشارة فى ذلك إلى الاغتسال ، قال ابن مالك : فيه شاهد على إجـراء فعل القـول ، مجرى فـعل الظن ، وشرطه أن يكـون مضارعًا مـسندًا إلى المخاطب متصلاً باستفهام .

---

(١) كل يوم خمسًا : أى يغتسل فى النهر كل يوم خمس مرات .

(٢) يبقى من درنه : أى بعد الاغتسال كل يوم خمس مرات ، هل يظل فى جسمه شىء من الأوساخ ؟

(٣) مثل الصـلوات الخمس : كنى بالصلوات الخـمس ، الاغتسـال خمس مـرات كل يوم ، وكنى بالدرن عن الخطايا .

(٤) فتح البارى ٢ / ١٥ .

« يبقى من درنه » زاد مسلم « شيئًا » والدرن الوسخ وقد يطلق الدرن على الحب الصغار التى تحصل فى بعض الأجساد .

« قالوا: لا يبقى » بضم أوله أيضًا ـ شيئًا ـ منصوب على المفعولية والفاء فى قوله : فذلك ، جواب شيء محذوف ، أى إذا تقرر ذلك عندكم ، فهو مثل الصلوات . . . إلخ .

وفائدة التمثيل ، التأكيد وجعل المعقول كالمحسوس قال الطيبى : فى هذا الحديث مبالغة فى نفى الذنوب ؛ لأنهم لم يقتصروا فى الجواب على ـ لا ـ بل أعادوا اللفظ تأكيدًا .

وقال ابن العربى : وجه التمثيل ، أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة فى بدنه وثيابه ، ويطهره الماء الكثير ، فكذلك الصلوات تطهر العبد من أقذار الذنوب ، حتى لا تبقى له ذنبًا إلا أسقطته .

وظاهره أن المراد بالخطايا فى الحديث ما هو أعم من الصغيرة والكبيرة ، لكن قال ابن بطال : يؤخذ من الحديث أن المراد بالصغائر خاصة ؛ لأنه شبه الخطايا بالدرن ، والدرن صغير بالنسبة إلى ما هو أكبر منه ، من القروح والخراجات .

وهو مبنى على أن المراد بالدرن فى الحديث ـ الحَب ـ الظاهر أن المراد به الوسخ لأنه هو الذى يناسبه الاغتسال والتنظيف ، وقد جاء فى حديث أبى سعيد الخدرى التصريح بذلك . . . أخرج البزار أن أبا سعيد الخدرى سمع رسول الله ﷺ يقول : « أرأيت لو أن رجلا كان له معتمل ، وبين منزله ومعتمله خمسة أنهار ، فإذا انطلق إلى معتمله ، عمل ما شاء الله فأصابه وسخ أو عرق ، فكلما مر بنهر اغتسل منه ـ الحديث ـ ولهذا قال القرطبى : ظاهر الحديث ، أن الصلوات الخمس ، تستقل بتكفير جميع الذنوب . . . وروى مسلم مثله حديث : « الصلوات الخمس كفارة لما بينها . ما اجتنبت الكبائر » فعلى هذا ، المقيد يحمل ما أطلق فى غيره .

فائدة : قال ابن بزيزة فى ـ شرح الأحكام ـ يتوجه على حديث العلاء إشكال يصعب التخلص منه ، وذلك أن الصغائر ، بنص القرآن الكريم ، مكفرة باجتناب الكبائر ، وإذا كان ذلك ، فما الذى تكفره الصلوات الخمس !

وقد أجاب عنه شيخنا : الإمام البلقينى بأن السؤال غير وارد ، لأن مراد الله « أن

تجتنبـوا » أى فى جمـيع العمر ، ومـعناه الموافاة على هذه الحـالة ، من وقت الإيمان أو التكليف إلى الموت .

والذى فى الحديث أن الصلوات الخمس تكفر ما بينها - أى فى يومها - إذا اجتنبت الكبائر فى ذلك اليوم ، فعلى هذا لا تعارض بين الآية والحديث .

وعلى تقـدير ورود السـؤال فالتـخلص منه بحـمـد الله سـهل ، وذلك أنه لا يتم اجتناب الكبائر إلا بفعل الصلوات الخمس ، فمن لم يفـعلها ، لم يعد مجتنبا للكبائر ، لأن تركها من الكبائر ، فوقف التكفير على فعلها .

وقد فصل شيخنا : الإمام البلقينى أحـوال الإنسان ، بالنسبة إلى ما يصدر منه من صغيرة أو كبـيرة فقال : تنحصر فى خمسة أحدها : أن لا يصـدر منه شيء البتة ، فهذا يعاوض برفع الدرجات .

ثانيها : يأتى بصغائر بلا إصرار ، فهذا تكفر عنه جزما .

ثالثهـا : مثله لكن مع الإصـرار ، فلا تكفـر إذا قلنا : إن الإصرار على الصـغائر كبيرة .

رابعها : أن يأتى بكبيرة واحدة وصغائر .

خامسهـا :أن يأتى بكبائر وصغائر ، وهذا فيه نظر ، يحتـمل إذا لم يجتنب الكبائر ألا تكفر الكبـائر ، بل تكفر الصغائر ويحـتمل ألا تكفر شيئًا أصـلا . والثانى أرجح ، لأن مفهوم المخالفـة ، إذا لم تتعين جهته لا يعمل به فهنا لا تكفر شيـئا ، إما لاختلاط الكبائر والصـغائر ، أو لتمحص الكبـائر ، أو تكفر الصغائر ، فلـم تتعين جهة مـفهوم المخالفـة ، لدورانه بين الفصلين ،فلا يعـمل به،ويؤيده أن مقتـضى تجنب الكبائر ، أن هناك كبائر ومقتضى « ما اجتنبت الكبائر » أن لا كبائر ، فيصان الحديث عنه .

وهذا فيه نظر ، يحتمل إذا لم يجتنب الكبائر ألا تكفر الكبائر بل تكفر الصغائر .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث السابع : الصلوات الخمس كفارة

هَذَا الصّحَابىُّ الجليلُ أبو هريرة عن يَقين ١

يَرْوِى لنا قولاً مُضِيئًا قولَ خَتْمِ المرسلين ٢

المصْطفَى فى ضربه الأَمثَال ليس له قرين (١) ٣

هو يضْرِبُ الأمثَالَ يبغى فهم كل المسْلَمين (٢) ٤

كى يفهموا التشبيه بالأمثال فَهم العارفين ٥

قال النبىّ لنا : وكنا للمقالَة سَامِعين ٦

لو أنّ نهرًا جَارِيًا فى بَابِكم للناظرين ٧

مِنْ ثَم تغتسلون فى ذا النهر خمسًا عَامِدين ٨

أى كل يوم خَمسَ مرَّاتٍ ، ولستم كَاسِلين ٩

هل بَعْد ذَا يَبْقى مِنَ الأدْرَانِ شىءٌ قد يُشين ؟ ١٠

قلنا : فلن يَبْقَى ، ويحلُو فى عُيُونِ الآخَرين ١١

قال النبىُّ إذًا فكونوا للمقالة مُدْرِكين ١٢

الخمسُ صَلَواتٍ إذا صليتموها طَائِعين ١٣

كالاغتسال الخمسَ مرات فكونوا فاهمين ١٤

الغسْلُ للأدْرانِ يُذْهِبُها بفعْلِ الفاعلين (٣) ١٥

أيضًا وبالصّلوَاتِ قد تُمْحى ذنوبُ المخطئين ١٦

إن تَفْهَمُوا هذا المقَالَ فلن تكونوا جَاهلين ١٧

إن تفْهَمُوهُ وتعملوا فزتم ورب العالمين ١٨

---

(١) ليس له قرين : لا نظير له فى ضرب الأمثلة .

(٢) يبغى فهم كل المسلمين : أى يريد تفهيم المسلمين .

(٣) بفعل الفاعلين : تزول الأقذار بمعالجتها وتنظيفها .

٨ ـ حديث : تغيير المنكر

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال :

سَمعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقــول : « من رَأى منكُم (١) مُنْكرًا ، فَلْيَغـيّرْهُ بيَده (٢)، فـإن لم يَسْتَطِع فبلسـانه (٣) ، فَإن لـم يَسْتَطِع فَبِقَلْبِه ، وذَلـك أَضْعَفُ الإيمان » (٤) .

شرح الحديث

« من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده » .

روى أن أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة هو مروان ، فقام إليه رجل فقال : الصلاة قبل الخطبة ،فقال:قد ترك ما هنالك . . فقال أبو سعيد الخدرى : أما هذا فقد قضى ما عليه ، أى أنه رأى منكرًا فحاول تغييره ، والمنكر الذى رآه هو : بدء الخطبة فى العيد ، قبل الصلاة ، والمعروف والمأثور عن رسول الله ﷺ ، وصحابته من بعده ، أن الخطبة بعد الصلاة .

وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى ، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب ، يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » (٥) .

---

(١) من رأى منكم منكرًا : المنكر هو كل ما ينكره العقل والدين والخلق القويم .

(٢) فليغيره بيده : أى يمنع فاعل المنكر ، من فعله بالقوة إذا استطاع .

(٣) فبلسانه :أى بالزجر أو بالكلمة الطيبة اللينة ، ولكل مقام مقال ،فمن الفساق من لا يتراجع عن فعله المنكر ، إلا بالزجر والوعيد ، ومنهم من فيه بقية من حياء ،، فيستحى من ذوى الهيبة والشرف ، فتثنيه الكلمة اللينة عن فعل المنكر .

(٤ ، ٥) رواهما مسلم .

وروى عن مولى لعمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنهما ، عن النبى ﷺ أنه قال : « توشك هذه الأمة أن تهلك ، إلا ثلاثة نفر ، رجل أنكر بيده ولسانه وقلبه ، فإن جبن بيده ، فبلسانه وقلبه ، فإن جبن بيده وبلسانه فبقلبه » .

هذه الأحاديث وغيرها كثير كلها تدل على وجوب إنكار المنكر ، كل بحسب قدرته وأما الإنكار بالقلب فذلك حتم على كل مسلم ، فقلب المسلم إذا لم ينكر المنكر ، دل على ذهاب الإيمان منه .

وقد روى عن أبى جحيفة أن عليًا قال : « إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد ، جهادكم بأيديكم ، ثم الجهاد بألسنتكم ، ثم الجهاد بقلوبكم ، فمن لم يعرف قلبه المعروف ، وينكر قلبه المنكر نكس ، فجعل أعلاه أسفله » .

وسمع ابن مسعود رجلاً يقول : هلك من لم يأمر بالمعروف ، ولم ينه عن المنكر ، فقال ابن مسعود : هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر . . يشير إلى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب . فرض لا يسقط من أحد ، فمن لم يعرفه هلك .

وأما الإنكار باليد واللسان ، فإنما يجب بحسب الطاقة . . وفى سنن أبى داود أن النبى ﷺ قال : « إذا عملت الخطيئة فى الأرض ، كان من شهدها فكرهها ، كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها » . فمن شهد الخطيئة فكرهها فى قلبه كان كمن لم يشهدها ، إذا عجز عن إنكارها بلسانه ويده ، ومن غاب عنها فرضيها ، كان كمن شهدها ، وقدر على إنكارها ولم ينكرها ، لأن الرضا بالخطايا ، من أقبح المحرمات . . ويفوت به إنكار الخطيئة بالقلب ، وهو فرض على كل مسلم ، لا يسقط عن أحد فى كل حال من الأحوال .

وعند أبى داود أيضا من حديث عدى بن عمير ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم ، وهم قادرون على أن ينكروه ، فلا ينكروه ، فإذا فعلوا ذلك ، عذب الله العامة والخاصة » .

وعند ابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى ، عن النبى ﷺ أنه قال : « لا يحقرنّ أحدكم نفسه » . قالوا : يا رسول الله ، وكيف يحقر أحدنا نفسه ؟ !

قال : « يرى أمرًا لله عليه فيه مقال ، ثم لا يقول فيه ، فيقول الله له : ما منعك

أن تقول فيّ كذا وكذا ؟! فيقول : خشيت الناس ، فيقول الله : إياى كنت أحق أن تخشى » .

قال سعيد بن جبير : قلت لابن عباس : آمر السلطان بالمعروف وأنهاه عن المنكر؟! قال : إن خفت أن يقتلك فلا ، ثم عدت ، فقال لى مثل ذلك ، ثم عدت فقال لى مثل ذلك ، وقال : إن كنت لابد فاعلاً ، ففيما بينك وبينه .

والواقع أن لكل مرتبة من مراتب تغيير المنكر الثلاث ، فئة من الناس : فمثلاً تغيير المنكر باليد ، فهذه خاصة الحكام وذوى السلطان ، وأما إنكاره باللسان ، فهذه مهمة رجال العلم ـ العلماء ـ وأما إنكاره بالقلب ، فهذه ما لا ينبغى أن يخلو منها مسلم ما . ومن ثم فلا ينبغى أن يلجأ رجل العلم إلى تغيير المنكر بيده ، لأن هذه مهمة ذوى السلطان ،وهو قد يعرض نفسه إلى ما يؤذيه ، أو يسىء إليه ، ذلك لأن مهمته فقط فى لسانه . . ولذلك لا ينبغى على الرجل السوقى أن يحاول تغيير المنكر بيده ، إن لم يكن واثقا من قدرته على ذلك ، ولكنه قد يستطيع ذلك فى أهل بيته ، وذوى قرابته ، أما ما سواهم فلا . . ذلك لأنه إن فعل فسوف يعرض نفسه إلى ما يكره ، ومن ثم قال المصطفى ﷺ : « ليس للمؤمن أن يذل نفسه » أي يعرضها للبلاء بما لا طاقة له به .

وهذا يدل على أن الإنسان ، إذا علم من نفسه أنه لا يطيق الأذى ولا يصبر عليه فإنه لا يتعرض حينئذ للأمراء . .وهذا حق . وإنما الكلام فيمن علم من نفسه الصبر على الأذى ، قاله الأئمة : أحمد والفضيل بن عياض ، وسفيان الثورى ، وهو الاكتفاء بالإنكار بالقلب .

وقد ورد ما يستدل به على سقوط الأمر والنهى ، عند عدم القبول والاقتناع به . . . فى سنن أبى داود وابن ماجه والترمذى ،عن أبى ثعلبة الخشنى ، أنه قيل له : كيف تقول فى هذه الآية :

﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُم ﴾ [المائدة : ١٠٥] قال :سألت عنها خبيرًا ، أما والله لقد سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : « بل ائتمروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا ، وهوىً متبعًا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام » .

وعن مكحول قال فى هذه الآية: ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ... ﴾ لم يأت تأويلها بعد ، إذا هاب الواعظ وأنكر الموعوظ ، فعليك حينئذ بنفسك ، لا يضرك من ضل إذا اهتديت ، وهذا كله يدل على أن من عجز عن الأمر بالمعروف ، أو خاف الضرر ، سقط عنه ، لكن من قدر على شىء من هذا وفعله ، كان الأفضل ، وهو خير ممن عجز عنه وتركه ، وإن كان معذورًا فى تركه ، وقد قال الإمام الأوزاعى : مُر من ترى أن يقبل منك .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث الثامن : تغيير المنكر

هَذَا هُوَ الخُدْرِيُّ (١) يَرْوِى صَادِقًا لِلمُسْلِمِين ١
قَوْل النبىّ محمد فيه الهُدى للتّائهين ٢
قَدْ قَال قولا فيه عِلْم يُشْبِه النّور المبين ٣
النّاسُ قبل مَجيئه كانوا بحق جَاهلين ٤
كانوا جميعًا فى ضلال فى ظلام حَائرين ٥
لكنّه مُذ جَاءَنَا بالحقّ صِرنَا مُهْتَدين ٦
هوَ عَالمٌ هوَ مُرْشدٌ ، هُوَ خَاتَمٌ للمرسَلين ٧
فى قوله فى فِعْله ، فى نُصْحه للعَالمين (٢) ٨
قال : اسمعوا قولى وكونوا للمقالة مدركين ٩
إذ ما رأيتم مُنكرًا ، فَلْتَرفُضُوهُ مُسَارعين ١٠
لا تتركوهُ وغَيِّرُوهُ بكل حَزْم المؤمنين ١١
كلٌّ يُحَاربُه بما فى طَوْقه (٣) لا يَسْتكين ١٢
تغييرهُ إن كان بالأيدى فَذَا للقَادرين (٤) ١٣
أو بالمقال إذا عجزتم ، ذاك فِعْل الواعظين (٥) ١٤
من لَمْ يكن أهلاً لهذَا أو لهذا عن يقين ١٥
فليُنكرَنّ المنكَرات بقلبه فى المنكرين ١٦
ذاكم بِحقّ أضعف الإيمان ، كونوا موقنين ١٧

---

(١) الخدرى : هو الصحابى الجليل أبو سعيد الخدرى واسمه مالك بن سنان .

(٢) فى نصحه للعالمين : هذا من كلام الراوى استنتجناه .

(٣) بما فى طوقه : أى قدر طاقته واستطاعته .

(٤) فذا للقادرين : أى طبقة الحكام ، وكل ذى سلطان .

(٥) فعل الواعظين : الوعاظ هم العلماء .

٩ ـ حديث : « الظلم ظلمات يوم القيامة »

عن جَابر بن عَبد الله رضى اللهُ تعالى عنه أنّ رسُول الله ﷺ قال :

« اتقُوا الظُّلمَ (١) ، فإنّ الظـلمَ ظُلماتٌ يَوم القيامَة ، واتـقوا الشُّحّ (٢) فـإن الشحّ أهلـك من كـان قَبْلكُم ، حـملهُم علـى أن سـفكوا دَماءَهم ، واستحلوا مَحارِمَهُم » (٣) .

شرح الحديث

« اتقوا الظلم » أى اجتنبوا الظلم وابتعدوا عنه ، والظلم هو : التصرف فى حق الغير بدون حق ، أو مجاوزة الحد . . قال ابن الجوزى :الظلم يشتمل على معصيتين :

١ ـ أخذ حق الغير بدون حق .

٢ ـ مبارزة الرب سبحانه وتعالى بالمخالفة والمعصية ، والظلم إنما يقع غالبًا بالضعف الذى لا يقدر على الانتصار ، وإنما ينشأ من ظلمة القلب ؛ لأنه لو استنار لاعتبر .

« ظلمات » الظلمات جمع ظلمـة ، وهى شدة الظلام ، بحيث لا يرى الإنسان ما يحيط به ، ويحتمل أن اللفظ على حقيقـته ، أى أن الظلم كان سببًا لتخبط الإنسان فى الظلمات يوم القـيامة ، كمـا أن عمل الصالحات يكون سـببًا للنور يوم القيامـة ، لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم ﴾ [الحديد:١٢] ويحتمل المراد بالظلمات هنا ، الشدائد ، كما فى قوله تعالى :

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [الأنعام:٦٣] أى من شدائدها وأهوالها .

« الشح » أى اجتنبوا البـخل الذى يعرض صاحبه للـدمار ، والشح هو البخل مع

---

(١) اتقوا الظلم : أى اجتنبوا الظلم ، والظلم هو التصرف فى حق الغير بدون حق ، أو مجاوزة الحد .

(٢) واتقوا الشح : أى اجتنبوا البخل الذى يعرض صاحبه للدمار ، والشح هو البخل مع الحرص الشديد ، وهو أشد البخل ، وقيل : البخل يكون بالمال ، والشح يكون بالمال ، وبعمل الخير معًا .

(٣) رواه مسلم .

الحرص الشديد ، أو هو أشد البخل ، قال تعالى :

﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (١٦) ﴾ [التغابن] وفرق بعضهم فقال : البخل يكون بالمال ، والشح يكون بالمال وبعمل الخير معًا ، فهو أعم . . وفى الحديث الشريف : « إذا رأيت شحًا مطاعًا ، وهوىً متبعًا ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بخويصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة » .

« سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » أى أراقوا دماء بعضهم البعض ، والمعنى قتلوا بعضهم البعض ، بسبب الشح بالمال ، والحرص عليه . . واستباحوا ما حرمه الله عليهم ، من أكل الأموال وسفك الدماء . . والمحارم ، جمع محرم ، وأما المحرّم ، فجمعه محرّمات ، والمحرّم بالسكون والتشديد ، معناه ما حرمه الله على عباده .

الشرح الأدبى :

ما أعظم الإسلام ، دين الحق والعدالة ، ودين المساواة والإنصاف . . إنه الدين الذى يمقت الظلم ويكره العدوان ، ويأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى .

ورسول الله ﷺ يبين لنا فى هذا الحديث النبوى الرائع عاقبة الظلم ، ومصير الظالمين . .إنه مصير مشؤوم ما فى ذلك من شك،لأنه يكون يوم القيامة ظلامًا دامسًا ، يحل بصاحبه فلا يرى طريقه ، ولا يعرف كيف يمضى ولا أين يسير ؟!

وبهذا التعبير الموجز عن مصير الظالمين ، ينفّر الرسول الكريم من الظلم بجميع أنواعه وضروبه ، ويحذر من عاقبته التى هى أسوأ عاقبة لقوله تعالى :

﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** (٢٢٧) ﴾ [الشعراء] وليس هذا فحسب بل إن الظالم سينتقم الله منه فى الدنيا قبل الآخرة ، فإذا تأخر عنه العذاب ، فليس ذلك بإهمال من الله ـ جل وعلا ـ بل لزيادة فى عذابه ؛ لأن ذلك استدراج له ، وفى ذلك يقول رسول الهدى والرحمة ، محمد ﷺ : « إن الله ليملى للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** (١٠٢) ﴾ [هود] وأقبح أنواع الظلم ، وأبشعه صورة أن يظلم الإنسان قريبه ، أو صديقه،أو من يجب الإحسان إليه والعطف عليه ، وما أصدق قول طرفة بن العبد :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة   على النفس من وقع الحسام المهند

وهكذا تكون عاقبة الظلم والعدوان .

وفى الحديث الشريف تحذير آخر من مرض اجتماعى خطير ، ألا وهو الشح والبخل ؛ لأن المجتمع الإسلامى ، مجتمع التكافل والتضامن والتعاون بين أفراده فإذا فشا البخل فيه عمت العداوة والبغضاء ، بين الفقير والغنى ، ولذا كان البخل سببًا لهلاك الأمم السابقة ، حيث دفعهم إلى سفك الدماء ، وقتل النفوس ، واستحلال المحارم التى حرمها الله تعالى ، فما أقبح الظلم والشح ، وما أشنع عاقبتهما الوخيمة ، التى هى سبب الشقاء الدائم ، والخسران المبين .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث التاسع : « الظلم ظلمات يوم القيامة »

هَذَا ابنُ عـبد الله جَابـرُ ، صاحِبُ الهـادِى الأمين ١

يرْوى لنا مـن قـوْل خــيـرِ الخـلقِ كـالـنور المبين ٢

مِن قــــــولـه : يـا قَومُ إياكـم وفِعْل الـظالمـين ٣

الظّلـم ظلمــــاتٌ ، وحــــرّمَه إلـه العــــالمين ٤

لا تَقْرِبُوهُ وقَاوِمُوهُ ، وناصِرُوا المسْتَضـــعــــفين ٥

الظـالمون هـناك يوم الحــــشــــر فـى ذُل مُهين ٦

والشحُّ من شـرّ الصـفَاتِ لتـعلمـوا العلم اليـقين ٧

فـلْتَتَّقُوهُ لِتـــــأمَنوا شرّ الـعـــــواقب آمنـين ٨

الشحُّ أهلك قـــبلكم أممًا غـدَوا فى الـغـابرين (١) ٩

قد أُشـربته قلوبهم (٢) عن حبّ كـل الآخـــرين ١٠

بالقَتْل مـع سَفْك الدمـاء تَعَامـلوا مـتــحـــاربين ١١

بل واسـتحلوا للمـحـارم ، ليسَ من خُلقٍ ودين ١٢

بُعدًا لمن ظَلَمُوا وسـحقًا (٣)،لن يكونوا مـفلحين ١٣

سُحـقًا لأهل الشّح ، هم أهل الفـساد المجـرمين ١٤

---

(١) غدوا فى الغابرين : فى الأزمنة السابقة .

(٢) قد أشربته قلوبهم : أى تخلقوا به وأحبوه ، حتى صار عندهم كشربهم وطعامهم .

(٣) وسحقًا : اى أبعدهم الله ، لن يكونوا ضمن أهل الجنة .

١٠ ـ حديث : فتنة الدنيا

عن أبى سعيد الخدرى ، رضى الله تعالى عنه ، أنّ رسولَ الله ﷺ قال :

« إنّ الدنيا حُلوةٌ خَضِرةٌ [١] وإنّ الله مُسْتَخْلِفُكم [٢] فيها ، فينظر كيف تعملُون ؟! فاتّقُوا الدُّنيا واتقُوا النساء [٣] ، فإنّ أول فتنة بَنِى إسرائيل كانت النساء » [٤] .

شرح الحديث

« الدنيا » اسم لهذه الحياة التى يعيشها الإنسان،على سطح هذا الكوكب الأرضى ، وهى مشتقة من الدنو لقربها إلينا ، وقرب انتهائها ، أو من الدناءة ، لحقارتها وخستها عند الله تعالى لقوله عز وجل : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) ﴾ [آل عمران] وقال تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وفى الأثر : « الدنيا دار من لا دار له ، ولها يجمع من لا عقل له » .

« حلوة خضرة » أى ذات حلاوة وذات اخضرار ، فالحلاوة تدرك بالذوق ، والخضرة تدرك بالنظر ، وكلاهما مرغوب فيه ، فإن النفس البشرية ، تشتهى من الفاكهة والطعام ، ما كان حلو الطعم ، جميل المنظر ، فإذا اجتمعت (الحلاوة والخضرة) كانت الرغبة أعظم ، والميل إليها أكبر ، فهى بهجة النفس وقرة العين .

---

(١) حلوة خضرة : أى ذات حلاوة ، وذات اخضرار ، ولا غرو فالحلاوة تدرك بالذوق ، والخضرة تدرك بالنظر ، وكلاهما مرغوب فيه .

(٢) مستخلفكم فيها : أى جاعلكم خلفاء فى الأرض ، فى هذه الحياة الدنيا ، فينبغى أن تكونوا أهلاً للخلافة فتعملوا ما فيه رضاء من استخلفكم .

(٣) واتقوا النساء : احذروا فتنتهن وإغواءهن ، ففتنتهن عظيمة ، وكيدهن عظيم ، وكما قال الإمام على كرم الله وجهه : يتظلمن وهن الظالمات ، ويتمنعن وهن الراغبات ، فاستعيذوا بالله من شرارهن ، وكونوا على حذر من خيارهن .

(٤) رواه مسلم .

« مستخلفكم فيها » استخلفـه ، جعله خليفة عنه ، فالإنسان كالوكيل عن الله عز وجل ، فى هذه الحياة ، فلا يصح أن يتصرف إلا كما يأمره البارى تبارك وتعالى ؛ لأنه وكـيل وليس بأصيل ، قـال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] ، وقال تعالى : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ ﴾ [ص : ٢٦] وقيل : المعنى جعلكم خلفـاء عمن كان قـبلكم من الأمم ، فالإنسان يخلف الإنسـان ، والأمة تخلف الأمة .

« اتقوا الدنيا » أى اجتنبوا فتنتها ، واحذروا مـن كيدها ، ولا تغتروا بها فتشغلكم عن طاعـة الله وتلهيكم عن ذكـره ، كمـا قال تعـالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ ﴾ [المنافقون] .

« واتقوا النساء » أى احذروا فتنتهن وإغواءهن، فإن فتنتهن عظيمة، وكيدهن كبير ، وكما روى عن على رضى الله تعالـى عنه أنه قال : (يتظلمن وهن الظالمات ، ويتمنعن وهن الراغبات ، فاستعيـذوا بالله من شرارهن ، وكونوا على حذر من خيارهن) وفى الحديث الشريف : « ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » .

الشرح الأدبى :

فى هذا الحديث الشريف ، نفحة من نفحـات القدس ، ولمسة من لمسات الجمال ، وإبداع فى التصـوير فوق ما يتصـوره الخيال ، فما أبدع هـذا التعبير ، ومـا أجمل ذلك التصوير الذى مثل به الرسول الكريم ﷺ لهذه الدنيا الزائلة !!

ولا عجب أن نرى تلك الإشراقة المضيئة ، والقبس المنير فى هدى سيد المرسلين ، فقـد دانت له الفصاحـة ، وانقادت له البلاغـة ، فكان له منها الحظ الوفـير ، وأعطى جـوامع الكلم فكان أفصح من نطـق بالضاد ، وأعظم من دعـا إلى الهدى والرشـاد ، وبهذا التوجيه النبوى الكريم ، يلفت النبى ﷺ انتباهنا ، ويوجه أنظارنا إلى سبيل الخير والسعادة ، ويحذرنا من فتنة الدنيا ، وشهوات الحياة ، فهذه الدنيا كم خدعت الناس ، وكم فـتنت من خلائـق ؟! اغتـروا بها وفـتنوا بما فـيهـا ، فـأوردتهم موارد الهـلاك ، وجرعتهم كؤوس الحسرة والندم، فلم ينالوا منها إلا التافه ، ولم يجنوا منها إلا الحقير ، فهى دار الغرور ، يغتر بها الجاهلون ، ويركن إليها الغافلون ، وما أجمل تصوير القرآن الكريم لهذه الحيـاة الفانية حيث قـال تعالى عنها : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ

وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ ... ﴾ الآية [الحديد : ٢٠] .

ولقد أوضح الرسول بهديه الكريم قيمة هذه الدنيا ، حتى لا يغتر بها المؤمنون فقال صلوات الله وسلامه عليه : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها جرعة ماء » وكذلك كانت حياته ﷺ زهدًا فى الدنيا ، وإعراضًا عنها ، فكان يأكل اليسير من الطعام ، ويلبس الخشن من الثياب ، وينام على الحصير .

دخل عليه أحد الصحابة يومًا ، فوجده نائمًا على حصير ، وقد أثر فى جنبه الشريف ، فرق لحاله فقال : يا رسول الله ، لو اتخذنا لك وطاة (أى فراشًا) فقال : « مالى وللدنيا ؟ ! ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها » .

ولقد ختم الرسول ﷺ هذا الحديث ، بالنصح والإرشاد والتحذير من أمرين عظيمين هما : فتنة الدنيا ، وفتنة النساء فقال : « فاتقوا الدنيا واتقوا النساء » ثم علل ذلك بأن أول بلاء حل على بنى إسرائيل ، وأول فتنة حصلت لهم ، إنما كانت بسبب شهوات الحياة ، وفتنة النساء ، فليس هناك فتنة أخطر من فتنة النساء، وصدق رسول الله ﷺ ، حيث قال : « ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » .

فيا له من توجيه عظيم ، وإرشاد كريم ، دلنا عليه رسول الهدى والرحمة ، اللهم ارزقنا محبته ، ووفقنا للاقتداء بهديه الكريم ، إنك سميع مجيب الدعاء .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث العاشر : فتنة الدنيا

هَذَا هُوَ الخُــــــدرىُّ يَرْوى صَّادِقًا لـلـعَالَمِين ١
عن خــيْر خَلْقِ الله قــال نَصِيـحــةً للمــسْلمين ٢
قــد حَذّر الهــادى مــن الدنيــا بأسلـوب مــبين ٣
فى وصْفـهـمـا قـد قـال قــولاً فَاقَ كل القـائلين ٤
هِيَ حُلوةٌ ، هـى زينةٌ ، هـى فــتـنةٌ لـلطالـبين ٥
فى حــبّهــا تتنـافَسُون تَنَافُسَ المتَخـاصمين (١) ٦
لقـــد اصطـفى المولـى لآدَم الخـــلافَة عَن يـقين ٧
فى الأرض يَعْمُرُها ، أبًا لـلخلق طرًا أجـــمــعين ٨
والـلهُ راءِ فِعْل آدم ، ثـم أفـــعَالَ الـبنـين (٢) ٩
فَلتَحْذَروا مـنْ هَذِهِ الدنيـــا وكـــونـوا خَائفين ١٠
ولتَحْذَرُوا كـيـد النسـاءِ ، فـذاك كـيـدُ الخـائنين ١١
إذْ هن أصلُ مَصَائب الدنيـا ، وأصل المفـسـدين ١٢
أى هنّ للشــيطان صِنْو (٣) ذاك إبلـيس اللـعين ١٣
بل سَهْمُه المســمُومُ يرمـى صــائبًا فـى الآدمين ١٤
من قـبل ذا فـتنوا اليـهود غـدَوا بأسْفل سـافلين ١٥
منهنّ قلّ الـصـالحـات ، بكل أحـقــاب السنين ١٦

---

(١) تنافس المتخاصمين : كما يتنافس الخصمان على أمر ما .
(٢) ثم أفعال البنين : أى أبناء آدم كلهن .
(٣) للشيطان صنو : الصنو : المثل ، أى مُساوٍ له .

١١ ـ حديث : بين يدى الساعة

عن أبى موسى (١) الأشعـرى ، رضى الله تعالى عنه قال : قـال رسول الله ﷺ :

« إنّ بَيْن يَدَى السّاعة (٢) فتنًا كـقطع الليلِ المظْلم (٣) ، يُصْبِحُ الرجُلُ فيها مؤمنًا ، ويُمسى كـافرًا (٤) ، ويَـمسِى مُـؤمِنًا ويُصبْحُ كافرًا ، يَبيعُ دينَه بعرض منَ الدنيا (٥) قليل » (٦) .

شرح الحديث

« بين يدى الساعـة » أى قرب قـيام الساعـة وأمامـها ، والمراد بالساعـة : القيـامة وسـميت بذلك لأنهـا تظهر فى أدنى لحظـة من الزمن ، وهى مما اختص الله سبحـانه وتعالى بعلمه ، قال تعالى :

﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب : ٦٣] .

« فتـنًا كقطع الليل المظلم » جـمع فتنـة ، والمراد بالفتن هنا : المصائب والنكـبات والبلايا التى تنزل على الناس فى آخر الزمان ، فتصيبهم فى أنفسهم ، أو فى أموالهم ، أو فى أولادهم ، أو فى عقائدهم ، قال الشاعر العربى :

---

(١) أبو موسى الأشعرى : اسـمه ـ عبد الله بن قيس ـ هو من قبيلة الأشعـريين ، الذين أثنى عليهم رسول الله ﷺ بقوله : « إن الأشعريين إذا أرملـوا فى الغزو ، أو قل طعام عيالهم بالمدينة ، جمـعوا ما كان عندهم ، ثم اقتسموه بينهم بالسوية ، فهم منى وأنا منهم » .

(٢) بين يدى الساعة : أى قرب قيام الساعة وأمامها ، والساعة : هى القيامة .

(٣) فتنا كقطع الليل المظلم : المراد بالفتن هنا ، المصائب والنكبات والبلايا التى تنزل بالناس .

(٤) ويمسى كافرًا : أى مرتدا عن الدين جاحدًا بآيات الله .

(٥) بعرض من الدنيا : أى الشىء الحقير من حطام الدنيا .

(٦) رواه الترمذى .

إن لله عبادًا فــطنا   طلقوا الدنيا وخـافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علـموا   أنها ليـست لحـى وطنًا

جعلوها لجة واتـخذوا   صـالح الأعمال فيـها سفنا

« كقطع الليل »: جمع قطعة وهى الجـزء من الشىء والمراد أن الفتن تأتى متلاحقة متتالية ، كما يأتى الليل متلاحق الأجزاء ، وكلما تقدم الليل اشتد الظلام .

« يصبح ويمسى » مـعنى أصبح ، دخل فى الصباح ، وأمـسى ، دخل فى المساء ، قال تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ⑰ ﴾ [الروم] .

وفى الحديث الشـريف : « أيعجز أحـدكم أن يكون مثل أبى ضمـضم ؟! قالوا : ومن هو أبو ضمضم يا رسول الله ؟! قال : رجل ممن كان قبلكم ، كان كلما أصبح أو أمسى قال : اللهم إنى قد جعلت عرضى لمن شتمنى » أى عفوت عنه وسامحته .

« كافـرًا » أى مرتدًا عن الدين ، جـاحدًا بآيات الله ، مـشتق من الكفـر بمعنى : الجحود والإنكار قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ⑰ ﴾

[مريم]

« بِعَرَضٍ من الدنيا » المراد بالعرض ، الشىء الحقير من حطام الدنيا ، ونكر اللفظ ليشـير إلى الحقـارة والقلة ، أى بشىء قليل وحقـير من الدنيا ، وسـمى عرضًا ؛ لأنه يزول ولا يدوم .

وهذه الأحداث لعمرو الله نراها واقعة مشاهدة ، فى هذه الأيام . . فكم من رجل كنا نتصور أنه من المؤمنين الأتقياء ، فنراه يشهد زورًا لنيل مغنم مادى ، ويضيع بشهادته تلك حقوقـا ، وشهادة الزور تعدل عند الله الإشراك بـالله ، لقوله تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ⑳ ﴾ [الحج] .

الشرح الأدبى :

فى هذا الحديث الشريف ، صفحة من صفحات الجمال الفنى، فى روعة العرض ، وسمو التصوير والتشبيه ،فإن الإنسان ليحس بالبلاء الذى ينزل ، والفتن التى تحيط به ، وكأنها ملموسة محسوسة ، تلاحقه كما يلاحق الظلام غسق الليل ، وتلازمه كما يلازم

الهلع قلب الجبان ، وأى إنسان لا يفـزع وهو يرى ذلك المنظر المخيف ، وتلك الصورة الرهيبة ، التى تملك عليه شعوره وإحساسه ؟!

صورة الفتن تتـلاحق ، كتلاحق الجيوش يطـارد بعضها بعضًا ، وتشـتد هذه الفتن كاشتداد الظلام، يبدأ رويدًا رويدًا ، ثم لا يزال يشتد ويشتد ، حتى يعم أرجاء الكون ، ويصبح ظلامًا مطبقًا دامسًا ، لا يرى فيه الإنسان ما حوله : ﴿ **ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** (٤٠) ﴾ [النور] .

وإن الناظر ليلمس خطر هذه الفتن العـصيبة ، والمحن المـريرة فى الانقلاب العظيم الذى تحدثه فى نفوس البشر ، إذ ينقلب الإنسان ما بين عشية وضحاها ، من الإيمان إلى الكفر ، ويعود من الهدى إلى الضلال ، وينتـقل من النور إلى الظلام ، فيصاب بأعظم نكسة ، وأفدح مصيبة !! وهل هنالك من مصيبة ، تعدل المصيبة فى الدين والإيمان ؟!

وهل هناك من خسارة توازى هذه الخسارة ؟!

إنها المادية الطاغية التى حدثنا عنها الصادق المصدوق ، الذى لا ينطق عن الهوى ، إنها فـتنة المادة التى تجرف فى تيـارها أصحاب النفـوس المريضة الذين عاشـوا ـ لبطونهم وشهواتهم ـ ممن آثروا الحياة الدنيا على الآخرة ، فخـدعوا ببريقها ، واغتروا بحطامها ، حتى باعوا أقدس شىء لديهم ، ألا وهو : الإيمان ـ بأتفه شىء ألا وهو ـ الحطام .

﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ** (١٦) ﴾ [البقرة] إنه طغيان المادة الذى يطغى على القـيم الروحية والخلقية والدينيـة ، فيجعل الفرد لا يفكر إلا فى المادة ، ولا يعيش إلا من أجل المادة ، فهل بعد هذا الانتكاس من انتكاس ؟!﴿ **رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً** ﴾ [آل عمران : ٨] .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

شعر الحديث الحادى عشر : بين يدى الساعة

يَرْوى أبُو مـــوسَى حَدِيثًا صَادِقًا لـلمُسْلمـين ١

من قـوْلِ صَاحِبـه ومَبْعُوث العِنَايةِ (١) عـن يقـين ٢

هَذَا الحـديـث لتَعْلَمُوا هو عن حَوادث قـادمين ٣

هى مـن علوم الـغـيْبِ لا تُعطى لِغَيْر المـرسَلين ٤

قـبل القيـامَةِ سوف تحـدُثُ ، أخبَر الهـادى الأمين ٥

هى مـثل ليل مُظلـمٍ لا تسـتـقـيم لحـاسـبين (٢) ٦

تغْشَى النفـوسَ كـذا العُقُولَ غَدَوْا لها مـتـحيـرين ٧

إيمـانهـم لا يَستَقِر ، مـزعـزع لا يَستكـين ٨

فى الصـبّح هذا مُؤمنٌ ، هو مِن خيـار العَابِدين ٩

عند المـسـاءِ تَراهُ أمْسَى فى عـدادِ الكـافـرين ١٠

قـد بَاعَ ديـنَ اللهِ بالدنيـا كـبـيْعِ الكارهين (٣) ١١

يـا بـئس بَيْعًا بـاعَهُ المـأفُون (٤) بَيْعَ الخـاسـرين ١٢

هَذَا لعـمْرُ الـلهِ خُسْرانُ لكـل البـائـعين ١٣

فى النـارِ سَوف يكون مَثْواهُم بأسـفَل سـافِلين ١٤

---

(١) ومبعوث العناية : أى العناية الإلهية .

(٢) لا تستقيم لحاسبين : لا حصر لها ، ولا تخضع لحساب الحاسبين .

(٣) كبيع الكارهين : أى كالتاجر الذى لديه سلعة يريد بيعها بأى ثمن .

(٤) المأفون : قليل الذكاء والفهم والإدراك .

١٢ ـ حديث : « الجليس الصالح والجليس السوء »

عن أبى موسى الأشعرى ، رضى الله تعالى عنه أنّ رسُولَ الله ﷺ قال :

« إنمـا مَثَلُ الجليس [١] الصالح والجَليس السُّوء [٢] ، كحامل المسك [٣] ، ونافخ الكير [٤] ، فَحاملُ المسك ، إما أن تَبْتَاع منه ، وإمّا أن تجدَ منه ريحًا طيبةً .

ونافخ الكير ، إمّا أن يَحْرِقَ ثيابك ، وإما أن تجِدَ منه ريحًا مُنْتنة » [٥].

شرح الحديث

« إنما مثل الجليس الصالح » إنما أداة حصر ، والمثل بفتحتين : الشأن العجيب ، والأمر الغريب ، ويستعمل فى تقريب البعيد ،وتوضيح الغامض ،قال تعالى : ﴿ **وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (٤٣)** ﴾ [العنكبوت] والأمثال لها أثر عظيم فى النفوس ، ولذلك فقد أكثرمنها القرآن .

ويقصد بالجليس الصالح هنا ، الصديق الفاضل ، المتحلى بالأخلاق الكريمة ، وفى الحديث الشريف : « لا تصاحب إلا مؤمنًا ، ولا يأكل طعامك إلا تقى » .

«والجليس السوء» يقصد به الصديق والصاحب السيئ الذى فسدت طباعه، وساءت أخلاقه،فمجالسته تسىء إلى جليسه،وجليسه لا يجنى من مجالسته إلا السوء والشر .

« كحامل المسك » المراد بحامل المسك ، بائع المسك ، وهو الطيب الذى يتطيب به

(١) مثل الجليس الصالح : الصديق الفاضل المتحلى بالأخلاق الكريمة .

(٢) والجليس السوء : الصديق والصاحب السيئ الخلق الذى ساءت أخلاقه ، وفسدت طباعه .

(٣) كحامل المسك : أى بائع المسك الذى يتطيب به الناس .

(٤) نافخ الكير : الكير : هو الأداة التى يستعملها الحداد فى النفخ على النار حتى يحمر الحديد للاستعمال .

(٥) رواه البخارى ومسلم .

الناس ، والمقصود منه هنا هو : « بائع العطور » ؛ لأنه يقابل « الحداد » .

« نافخ الكير » . . . والكيـر هو : حانوت الحداد ، ونافخ الكيـر هو الحداد الذى ينفخ النار على الحديد ، حتى يحمر فيستعمله .

قـوله ﷺ : «كـحامل المسـك ونافخ الكيـر » فيـه لف ونشـر مـرتب ، وهو من المحسنات البديعية فحامل المسك مثل للجليس الصالح ،ونافخ الجير مثل للجليس السوء، وسـمى « لفًا ونشرًا مرتبًا » لأنه قـد عاد عليها بالترتيب ، ومـثله قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾ [القصص : ٧٣] .

« إما أن تبتـاع منه » أى تشترى منه ما تريده من الطيب ، مـقابل ثمن تعطيه له ، وفى الحديث الشريف : « إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع فى المسجد فقولوا له : لا ربَّح الله تجارتك » .

« وإما أن تجد منه ريحًا منتنة » أى تشم رائحة كريهة ،تنفر منها النفس، يقال : أنتن الطعام إذا فسد ، وانتـشرت منه رائحة خبيثة ، وفى الحديث الشـريف : « دعوها فإنها منتنة » قالها رسول الله ﷺ ردًا على قولهم : يا للأنصار ويا للمهاجرين . . . إلخ .

الشرح الأدبى :

ما أروعه من معنى ، وما أجمله من تصوير !! تتجلى فيه البلاغة النبوية ، وروعة البيان ، وإن من البيان لسحرًا ، صورة حـية صادقة للمجلس ، فالجليس الصالح ، هو الذى ترتاح إليه نفسك ، ويطمئن به فؤادك ، وتنتعش به روحك ، تطرب لحديثه وتنعم بمجالسـته ، وتسعد بصـحبتـه ، إنه عدة فى الرخاء ، وزينة فى الشـدة ، وبلسم الفؤاد وراحة النفس .

قال الشاعر العربى :

صحبة الصالحين بلسم قلبى إنها للنفوس أعظم راقى

وقد شبهه رسول الله ﷺ ، ببـائع الطيب الذى ينفحك بعطره ، ويغمرك بنشره ، فإمـا أن يهديك من عطره ، وإمـا أن تجد منه ريحًا طيبـة ، فأنت مـعه فى ربح دائم ، ونشوة غامرة .

أما جليس السوء : فليس هناك أبلغ من تشبيهه بالحداد ، الذى ينفخ بكيره ، فأنت

معه فى خسـارة دائمة ، فإن لم يحرقك بناره ، أحرقك بشراره ، فصـحبته هم دائم ، وحزن لازم .

وقد سأل أحد الشعراء عن جواب لهذا البيت :

مالى أرى الشمع يذوى فى معادنه

من صحبة النار أم من فرقة العسل ؟!

فأجابه أحد الأدباء :

من لم تجانسه لا لا تجالسه

ما ضر بالشمع إلا صحبة الفتل

وهكذا يقولون : من جالس جانس، لأن النفس تقتبس الخير أو الشر من الجلساء ، ولهذا أمر البـارى تبارك وتعالى بصحبة الصـالحين فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩) ﴾ [التوبة] .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

شعر الحديث الثانى عشر : « الجليس الصالح والجليس السوء »

الأشـــعـــرىُّ روَى لـنا مِنْ قــوْل خَيْر المـرسَلين ١
من قـــولـهِ قـــالَ الرسُولُ : وقَوله نصـحٌ أمين ٢
فَليَخْتــرِ الإنسَان أصـــحـــابًا ذَوى خُلـقٍ ودين ٣
وليـبتـعـدْ عن صُحبَةِ الأشـرار ثم المـفـسـدين ٤
مِن أفـضل الأمـثـال [١] يَضـرِبُهـا إمـام المتـقين ٥
هذا جـليسٌ صـــالحُ يخـــشـى إله العـــالمين ٦
أقـوالـهُ أفـعـــالُه فـيـــهـا ســمَاتُ المؤمنين [٢] ٧
هُو مِثلُ بـيَّاع يَبـــيعُ المِسْكَ بين الجـــالسين ٨
إذ ربّمـا يحـذيك [٣] فـاعلم ذاك طبْع البـائعين ٩
أو رُبما تـبـتـــاع مـنه المسْك مِثـل المشْتـــرين ١٠
والمسك سَوفَ يَفـوحُ قطعًا فى أنوف الحـاضـرين ١١
أمـا جليسُ السُّوءِ فـهـو كـمثـل بعضِ الصَّانعين ١٢
أى مـثل حـدّادٍ ونَفْخُ الكيـر صـار به رهين [٤] ١٣
وجَلـيـــسُه لا يسـلمـنّ مِن الأذى هَذَا يقـين ١٤
قـد يحـرقنّ ثـيـابه من ذلك الشـرر الـلعين ١٥
ويَشُمّ ريـحًا مُنْتِنًا فـى الأنـف شـمّ الـكـارهـين ١٦

---

(١) الأمثال : وضعت الأمثال لتقريب الأفهام .
(٢) سمات المؤمنين : أى علامات .
(٣) يحذيك : يمنحك .
(٤) صار به رهين : لا غناء له عن نفخ الكير لكونه من لوازم صنعته .

١٣ ـ حديث : علماء السوء

عن أُسامَةَ بن زيدٍ رضى الله تعالى عنه قال : سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ يقول :

« يُؤتى بالرَّجُلِ يومَ القيامَة ، فيُلقَى فى النَّار فَتندلق اقتابُ بَطنه (١) ، فيَدُورُ بهَا كما يَدُورُ الحمَارُ فى الرَّحَى ، فيْجتَمعَ إليه أهل النّارِ فيقولون : مَا لك يَا فُلان ؟!

ألم تكُن تأمُرُ بالمعْرُوفِ وتَنْهَى عن المُنْكَرِ ؟!

فيقُولُ : بلَى ، كُنْتُ آمرُ بالمعْروفِ ولا آتيه (٢) ، وأنهى عن المنكر وآتيه (٣) » (٤) .

شرح الحديث

« تندلق أقتاب بطنه » الاندلاق : خروج الشىء من مكانه ، يقال : اندلق الماء واندلقت الفتنة ، والأقتاب : الأمعاء ، جمع معى ، والمعنى تخرج أمعاؤه من بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار بالطاحون أو الساقية .

« الرحى » هى الطاحون التى تطحن الحب ، فتجعله دقيقًا ، وذلك من باب التمثيل لا الحقيقة .

« كنت آمر بالمعروف » أى كنت أعظ الناس ، وأدعوهم إلى عمل الخير ، وفعل المعروف ، والمعروف هو كل ما يستحسنه الشرع وترتضيه العقول السليمة ، من قول أو عمل .

---

(١) فتندلق أقتاب بطنه : تخرج أمعاؤه من بطنه .

(٢) ولا آتيه : أى لا أفعله .

(٣) وآتيه : وأفعله ، أى يخالف قولى فعلى .

(٤) رواه مسلم .

«ولا آتيه» أى لا أفعله،أى لا أفعل المعروف الذى أدعو الناس إليه،وفى ذلك قولى يخالف فعلى ، وهذا ما يبغضه الله تعالى ، ونص عليه فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ [الصف] .

« وأنهى عن المنكر وآتيه » والمنكر هو كل ما يستقبحه الشرع ، ولا ترتضيه العقول السليمة ، من قول أو فعل ، والمعروف والمنكر ، لفظان متلازمان ، فقلما يأتى لفظ الأمر بالمعروف ، إلا ويتبعه لفظ النهى عن المنكر ، فى القرآن الكريم ، أو فى أحاديث رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبه : ٧١] .

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾

[آل عمران : ١٠٤]

الشرح الأدبى :

العلم حياة النفوس وغذاء القلوب ، ونور العقول والأبصار ، ولكن ما أتعس الإنسان وما أشقاه ، حين يصبح العلم وبالاً عليه ، ويكون سببًا لهلاكه ودماره ؟!

فالرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام يخبر عن ذلك العالم الذى أعطاه الله العلم ، ورزقه الفهم والإدراك ، فكان يعلم الناس ويرشدهم ، ويعظهم ويذكرهم ، ويأمرهم بالخير ، وينهاهم عن الشر ، ولكنه ما كان يفعل الخير ، ولا يجتنب السوء والشر ، فكان فعله غير قوله ، ومظهره غير مخبره ، ولذلك لم ينفعه علمه ، بل كان سببًا لدخوله جهنم ، أفليس عجيبًا أن يكون العلم وبالاً على الإنسانية ؟! وحقًا إنها لصورة رهيبة تقشعر لها الأبدان ، وترتعد لها الفرائص ، صورة ذلك الرجل وقد اندلقت أمعاؤه من بطنه ، فصار يدور بها كما يدور الحمار بالرحى ،وأين ذلك يكون ؟! إنه فى جهنم المتأججة بنيرانها الملتهبة بسعيرها ، والناس من أهل جهنم قد اجتمعوا عليه يسألونه ، مستغربين عن سبب هذا العذاب ، وعن سبب ذلك المصير المشؤوم ؟! يقولون له: ألست أنت الذى كان يقضى أوقاته فى الدعوة إلى الخير والبر والإصلاح ؟!

فيقول : نعم أنا فلان الذى كنت آمركم بالخير ، ولكننى لا أفعله ، وأنهاكم عن الشر وأفعله .

حقًا . . إنها النهـاية الأليمة المفجعـة ، التى تذيب القلب ، وتلذع الفؤاد ، فليس أوجع على النفس،ولا أنكى على القلب ، من أن يضل الإنسان ويشقى بسبب العلم ، وفى أمثال هؤلاء يقول القرآن الكريم :

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٣) ﴾ [الجاثية] .

فالعلم الذى ينبغى أن يكون سببًا للسعادة ، ومنارًا يهتدى به الناس إلى الأفضل فى الحياة الدنيا ، وسببًا لدخول الجنة فى الآخرة ، إذا لـم ترافقه تقوى الله سبحانه ، كان سببًا للشـقاء والهلاك ، وكان حجـة على صاحبه ، ووبالاً عليه يوم القـيامة ، ولله در القائل حيث يقول :

لو كان للعلم من دون التقى شرف لكان أشرف خلق الله إبليس

اللهم احفظنا من السوء والبلاء ، ولا تجعلنا من الذين يقولون ما لا يفعلون ، ولا من الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، إنك سميع مجيب الدعاء .

تعـريف براوى الحـديث : هو أسامـة بن زيد بن حارثة ، مولـى رسول الله ﷺ وقد كان الرسول الكريم ، يحـبه حـبًا عظيـمًا ، كـما كان يحب والده ، ولهذا يدعى (الحب بن الحب) أى الحبيب بن الحبـيب ، وقد كان رسول الله ، تبنى والده زيدًا ، فكان فى أول الإسلام يدعى : (زيد بن مـحمد) حتى نزل قـوله تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾ [الاحزاب : ٥] ونزل قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الاحزاب ٤٠] .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث الثالث عشر : علماء السوء

يَرْوِى أُسَامَةُ (١) حِبُّ خَيْر الخلقِ خيــر المرسَلين ١

من قـولهِ : إنى سَمِعْتُ المصْطفى الهادى الأمين ٢

قـد قـال عن أهوالِ يوم الحـشـر قـول العـارفين ٣

يـؤتَى بـرجل كـــان مَعْروفًا بِفِقْهٍ ثـم ديـن ٤

يُلقُونـه فى النَّار يوم الحـشـر بين المجـرمين ٥

أمـعــاؤه اندلـقت على جـمـرٍ لـه وهج مُهين ٦

فـيــدُورُ مع أمْعَائِهِ بـالذّل والخزى المـشين ٧

مِثل الحـمــارِ يَدُورُ فى طاحـونـةٍ للناظـرين ٨

مَن فى جَهَنم قـد رَآوهُ فـأقـبلـوا مُتـسـائلين ٩

سألوه مالك يا فلان؟! ألم تكن فى الفاقهين؟!(٢) ١٠

أفلم تـكن تَدعُو إلى الإيمان بـالقـول المـبين ؟! ١١

قـد كنت تـأمُرنا بمعـروف كـأمْرِ الـوَاعِظين ١٢

أيضـا ، وتنهـانـا لكى نتـجنب الـفعل المشين ١٣

فيُجـيـبـهم فى حَسْرة وتـأسّفِ المتنـدمين ١٤

قـد كنت آمُرُكُم ، وقـولى غـيـر فِعْلى عن يقين ١٥

بل كنت أنـهـاكم وأفـعـالى فِعـال الفـاسـقين ١٦

---

(١) أسامة : هو أسامة بن زيد ، ابن حِب رسول الله ﷺ .

(٢) فى الفاقهين : أى من أهل الفقه والعلم .

١٤ ـ حديث : عدالة الإسلام

عن عائشة أم المؤمنين ، رضى الله تعالى عنها ، أن قريشًا أهمَّهم (١) شأنُ المرأة المخزومية (٢) التى سَرَقَتْ فقالوا : من يُكلّم فيها رسول الله ؟! فقالوا : ومَن يجْتَرئ عليه إلا أسامة بن زيد ، حبّ رسول الله (٣) ﷺ ؟!

فكلمه أسامة ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ : أتشفَعُ فى حَدّ من حُدود الله تعالى (٤) ؟!

ثم قام فاختطب ثم قال : « إنما أهلك الذين قبلكم ، أنهم كانوا ، إذا سَرَق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف ، أقاموا عليه الحدّ .

وايم الله (٥) ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت ، لقطعتُ يدها » (٦) .

شرح الحديث

« أهمهم » أى جلب لهم الهم والقلق ؛ لأن هذه المرأة كانت من الأشراف من قبيلة بنى مخزوم ، وهى قبيلة من قبائل قريش ، وإليها ينتسب خالد بن الوليد ، وبنو مخزوم وبنو هاشم وبنو عبد شمس كلهم من الأشراف .

فخافت قبيلة بنى مخزوم ، أن يقطع رسول الله يد المرأة التى تنتسب إليها ، وثبتت عليها تهمة السرقة .

« من يكلم فيها رسول الله » أى من يكلمه فى شأنها شافعًا ، حتى لا يقيم رسول الله ﷺ ، الحد عليها .

---

(١) أهمهم : جلب لهم الهم والقلق .

(٢) المرأة المخزومية : من بنى مخزوم من قبائل العرب الأشراف .

(٣) حب رسول الله : أى حبيب رسول الله ، المقرب إليه .

(٤) أتشفع فى حد من حدود الله ؟! الاستفهام هنا للإنكار .

(٥) وايم الله : أقسم بالذات المقدسة .

(٦) متفق عليه .

« حب رسول الله » أى حبيب رسول الله ﷺ ، المقرب إليه الأثير لديه ، وحب بالكسر ، بمعنى الحبيب ، وبالضم ، مصدر أحب قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] والحب فى الله والبغض فى الله ، أوثق عرى الإيمان .

« أتشفع فى حد من حدود الله ؟! » الاستفهام هنا للإنكار ، فهو ﷺ ينكر على أسامة الشفاعة فى الحدود التى فرضها الله وجاء فى رواية أخرى فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال : « أتشفع فى حد من حدود الله ؟! » .

« وايم الله » قسم بالذات المقدسة ، معناه : قسم بالله ، وأصل ايم الله (ايمن الله) جمع يمين ، حذفت النون منه فصار (ايم الله) وهو من أنواع القسم .

الشرح الأدبى :

فى هذا الجو الروحانى ، ومع هذه الإشراقة الوضاءة ، من حياة سيد البشر محمد ﷺ ، يضرب المصطفى ﷺ ، أروع الأمثلة فى تطبيق مبدأ العدالة والمساواة ، دون تفريق وتمييز ، بين قوى وضعيف ، وكبير وصغير ، وشريف ووضيع ، فالكل فى نظر النبى سواء ، لا يراعى الغنى لغناه ولا يحابى الشريف لشرفه ومنزلته ، فالناس فى ميزان الدين،سواسية كأسنان المشط ، وهكذا يأتى الرسول ﷺ، على قواعد الجاهلية ، فيدكها من أساسها ، ويقتلعها من جذورها ، ويقرر مبدأ الحق ، والعدل والمساواة بين طبقات الأمة الواحدة .

ها هى امرأة من أشراف قريش ، ترتكب جريمة السرقة ، ويخشى عليها أهلها وعشيرتها ، أن يبلغ أمرها إلى رسول الله ﷺ ، فيقيم عليها الحد ، ويقطع يدها ، ويهتمون لشأنها لأنها من الأشراف ، فيبحثون لها عن شفيع عند النبى ﷺ ، فلا يجدون إلا أسامة بن زيد ، حبيب الرسول المقرب إليه ، فتكلموا معه ليتوسط لدى رسول الله ، ظنًا منهم أنه لن يرد شفاعته ورجاءه ؛ لأنه الحبيب بن الحبيب ، ويأتى أسامة إلى رسول الله ﷺ ،فيكلمه فى شأن المرأة ، وهو واثق من قبول هذه الشفاعة ، فما كان من رسول الله إلا أن ظهر الغضب على وجهه،واحمرت عيناه، وثارت نفسه ، وذلك بدافع الغيرة على حدود الله ، فقال لأسامة : أتشفع فى حد من حدود الله ؟! منكرًا عليه ، مستعظمًا لعمله ، ثم يقف خطيبًا فى الناس يبين لهم أن هلاك الأمم السابقين ، إنما كان بسبب عدم تطبيق حدود الله،فيقول قولته المشهورة : « أيها الناس ، إنما هلك الذين من قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم

الضعيف أقاموا عليه الحد » وفى هذا بيان لسبب هلاك الأمم ودمارها .

والإسلام دين الحق والعدل والمساواة ، لا يرضى بهذا المبدأ الجائر الظالم ، مبدأ التفرقة بين الناس ، والتمييز بين العناصر ، فهذا شريف يعظم ويكرم لشرفه وجاهه ، وهذا ضعيف لا حول له ولا طول ، يُزدرى ويُهان لضعفه وقلة شأنه ، وهكذا كان مبدأ الجاهلية ، تنقسم الناس إلى فئات وطبقات ، إلى سادة وعبيد ، إلى أشراف وضعفاء ، لكل فئة قانون ، ولكل جماعة نظام ، فقانون السادة غير قانون العبيد ، ودستور الأشراف غير دستور العامة والسوقة .

لقد جاء الإسلام فحطم هذه النظم البالية ، والقوانين الجائرة ، وأقام الناس جميعًا على قانون واحد ، ونظام عادل يشمل الصغير والكبير ، والعظيم والحقير ، ويجمع بين السادة والعبيد .

وهكذا يغضب الرسول الكريم ، لهذه الشفاعة ويقول كلمته الخالدة : « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

وحاشا للسيدة فاطمة الزهراء ، التى تربت فى بيت النبوة أن تسرق ، أو أن يقع منها ما يوجب عليها الحد . . ولكنه مثل يضربه الرسول الكريم ، حتى يظل مثلاً خالدًا على كر الدهور ، ومر العصور ، فى أن رسالة الإسلام ، ودعوة محمد ﷺ ، إنما هى دعوة العدل ، ودعوة الإنسانية والمساواة ، لا محاباة فيها ولا مداراة ، إنه المثل الأعلى والنموذج الكامل لعدالة الإسلام ، وتساس عليها الأمم ، لأنها شريعة الله !!

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث الرابع عشر : عدالة الإسلام

تَروى لنـا أخْتُ البـــراءَةِ [1] والطهـارة والـيـقين ١

زوْج النـبىّ مـــحـــمـــدٍ مِنْ أمّهـــات المؤمـنين ٢

قـــالـت : أهمَّ القَوْمَ أمْرٌ فـيــــه صَارُوا حَائِرين ٣

يتـــــحــــدّثـون بكلِ نـادٍ هامِسين وجــــاهِرين ٤

فى شـــأنِ من سَرَقتْ ، فكانت بنْتَ قـــوم بارزين ٥

هى مِنْ بَنِى مـخـزوم أهل الصّيـتِ لَيْسُوا خـاملين ٦

قـالوا : لنبــحث عن شـفيعٍ عند خـيـر المرسلين ٧

قـالوا : وليس سـوى أسـامَةَ حِبُّه [2] هـذا يقـين ٨

هذا أســـامـــة كـلم الهـــادى كـــلام الـشــافعين ٩

قـد كـان يجـهل أن هَذا يُغـضبُ الهـادِى الأمين ١٠

فـــوْرًا رسُولُ الـله قـــال له بـعنف الزاجــــرين ١١

هل تَشْفَعنّ أيا أســـامـة كى تنجـى المجـرمين ؟! ١٢

أى لا تُريد بـأن تُقَامَ حُدودُ ربّ العــــالمـين ؟! ١٣

مِنْ بَعـدِ هَذَا قَامَ يخطبُ فى جُمـوع الحـاضـرين ١٤

مِنْ قـــوله : قـــد أهلكت أمم من المتـــقـــدمين ١٥

كانوا إذا سَرَقَ الشريفُ [3] غدَوا جميعًا متساهلين ١٦

---

(١) أخت البراءة : هى عائشة رضى الله تعالى عنها ، برأها الله مما نسب إليها فى القرآن الكريم .

(٢) أسامة حبه : هو أسامة بن زيد ، حب رسول الله وابن حبه .

(٣) الشريف : أى الغنى ، أو ذو السلطان والجاه .

كانوا إذا سَرَقَ الـضعيف غـدَوا جمـيعًا غـاضبين ١٧

فـورًا أقــامُوا الحـدّ بئـس القـوم كــانوا ظالمين ١٨

أمـــــا أنا فَلو ابـنتـى جَاءت فِعـــال الـسّارقين ١٩

يَدُها سـأقطـعـهـا مُقـيـمـا شـــرع رب العـالمين ٢٠

١٥ ـ حديث : « المسجد بيت كل تقى »

عن أبى الدَّرداءِ ـ منْ أصحاب رسول الله ﷺ قال :

سَمعْتُ رَسُول الله ﷺ يقـول : « المسـجـد بيْتُ كل تَقىّ ، وتكفّل اللهُ لمن كانَ المسجدُ بيته ، بالرُّوح (١) والرَّحمةِ ، والجَواز على الصِّراطِ (٢) ، إلى رضوان اللهِ ، إلى الجنة » (٣) .

شرح الحديث

« المسجد بيت كل تقى » التقى هو الخائف من الله عز وجل ، الممتلىء قلبه خشية من الله ، ولا غرو فالإنســان الذى ألف الانتظار فى المسجد ، لعبــادة الله ، يغمره الله برحمته ، ويمده بإحسانه ، ذلك لأنه اعتبر المسجد خيرًا من أى مكان آخر ، يقضى فيه معظم وقته ، أى كأنه بيته يجد فيه راحته ، ويجد فيه ضالته من العلم والمعرفة .

الدليل من القرآن :

﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) ﴾ [الواقعة] أى أن الذى حافظ على الذهاب إلى المسجد ، فى أوقات صلاته ، وتوفى إلى رحــمة مولاه ، فله ـ روح ـ أى استراحة دائمة ـ وريحان ـ أى رزق طيب وقيل لأعـرابى : إلى أين ؟! فقال : أطلب من ريحان الله ، أى من رزقه ، وروى « الولد من ريحان الله » وذلك كنحو ما قال الشاعر :

يا حبذا ريح الولد ريح الخزامى فى البلد

الله الله ، عباد الله ، إن نبيكم ﷺ ، يرشد الذين يودون النسل ، ولا يعيش لهم ولد ، أن يكثر من الاعتكاف فى المساجد ، يتضــرع إلى الله ليعطيه طلبته « وتكفل الله

---

(١) بالروح : أى الحياة الصحيحة المقرونة بالسعادة .

(٢) والجواز على الصراط : أى المرور على الصراط بأمان .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط .

لمن كان المسجد بيته بالروح» هذا إلى جانب حياة مغمورة بالرغد والرزق الحسن الطيب .

انظر رعاك الله إلى الملوك السابقين ، والأغنياء الماضين ، شادوا مساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا ، فكان نصيبهم من الله عظيم الأجر ، كما قرئ فى الآية ﴿ فَرَوْحٌ ﴾ بالضم وفسر بالرحمة لأنها كالسبب لحياة المرحوم ، وبالحياة الدائمة ، وأعتقد أن الله رحمهم ، لماذا ؟! لأنهم كانوا سببًا لرزق ملايين من الأنفس ، كل مسجد فيه إمام ومؤذن وخدم ، يبتغون من فضل الله ، ومنشئ المسجد ، وفقه الله تعالى لذلك . أما أغنياء المسلمين الآن فلا يبنون مساجد ، ولذا فأموالهم تصرف فى المحارم ، وتنفق فى المكروهات ، ويذهبون إلى بلاد غير المسلمين ، وينفقون الأموال سدى ، وأمامهم كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، يدعوان لتشييد الصالحات الباقيات ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

قد يقول قائل : إن مساجد الله الآن كثيرة ، فماذا يصنع أغنياء المسلمين ؟! أجيب بإنشاء مصانع يأوى إليها آلاف العاطلين ، من أبناء الأمة ، رب فقير كسوته وأطعمته ؛ فحمد الله ، فشكر الله لمؤسس هذا المصنع ، وشكر الله ورحمته وإحسانه .. أو إقامة ملاجئ لتربية اليتامى ، أو مصحات ومستشفيات لمداواة المرضى الفقراء .

كما يرغب ﷺ ،فى تعمير المساجد ، يرهب ﷺ ذلك الغنى الذى عاش لنفسه ؛ ولقضاء مآربه وملذاته ، ولإدراك شهواته ، ولايرعى حق جاره وبنى وطنه .. والدنيا ظل زائل ، فيدركه الموت،ولم يخلد له عملاً باقيًا .. هذا الذى إن عاش لا يعتنى به ، وإن مات لم تحزن عليه أقاربه .

أيها الأغنياء المسلمون ، والله إن إيمانكم بالله وحده ، فى غير مكرمات تشيد ، لإيمان ناقص ، وسيحاسبكم الله حسابًا عسيرًا ، على هذه الأموال التى تنفق فى المحرمات .

أخرجوا الأموال من خزائنكم ، أو من المصارف ، وأدوا زكاتها أولاً ، ثم استثمروها فى المشروعات الحيوية ، استثمروها فى مشاريع يعمل فيها العاطلون من بنى وطنكم.. فالله تعالى يأمركم باثنين ، ويطلب منكم شيئين ، وإلا فهو غضبان عليكم وأنتم آثمون .

قال الله تعالى : ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ

فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦) آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) ﴾ [الحديد] .

الله أكبـر ، إله يسبح له مـا فى السموات ومـا فى الأرض ، وهو الموجد لهـما ، المتصرف فـيهما ، ويأمر عبـاده الأغنياء بالإنفاق فى البر ؛ لأنه تعـالى جعلهم خلفاء فى هذا المال، يتصرفون فيه ، وهو القادر على أخـذه من يد أولئك الفسقة الفجرة ، الذين يكتزون الذهب والفضـة ولا ينفقونها فى سـبيل الله ، ومن سبيل اللـه . . المشروعات التى تساعد على تشغـيل العمال . . ولا غرو فمن الحكم البليغـة ، اجتماع المسلمين فى المساجد ليرى غنيهم فقيرهم ، فيعطف عليـه ، أو طبيبهم مريضهم فيعالجه ، أو صاحب عمل يرى خالى عمل فيجد له عملا . والله أعلم .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث الخامس عشر : « المسجد بيت كل تقى »

يروِى أبُو الدَّرْدَاءِ مِن أصــحــاب خـتم المـرسلين ١

مِن قـوله إنـى سـمِعْت المصطفى الـهـادى الأمين ٢

قــال الـنبىّ عن المسَاجِدِ خـيْر قــولٍ عـن يقين ٣

إنّ المسَاجِد هـم بيــــوت اللـه رب العــــالمين ٤

أيضًا وبـيتٌ للـتــقىٍّ مِنَ الـرجـــال المخلـصين ٥

من يتــخـذْ بيــتًا له فى مــسْجـدٍ كـالعـاكـفين ٦

ضَمِنَ الإله لـه ، ونِعْم الله خــيــــر الضّامنِين ٧

يحــيـا حــيـــاةً فى هُدُوءٍ فى عِدَادِ الآمـنين ٨

فـيهـا السَّعَادة والرضـا ، لم يخش كـيـد الكائدين ٩

هذا لـه فى هذه الدنـيـــا ، فكونـوا مـــوقِنين ١٠

لكنّ يوم الحشر ســوف يكون ضمن الفائزين [(١)] ١١

وعلى الصـــراط يجـوز فى خطو سَرِيع بـاليـقين ١٢

يحــدوه رضــوان الإله مع العـــبـاد الصــالحين ١٣

أكـرم بهم صـــاروا إلى دار الخلود [(٢)] مـخلدين ١٤

---

(١) ضمن الفائزين : والفوز يوم القيامة ، هو الجنة .

(٢) دار الخلود : أى الجنة .

١٦ ـ حديث : الإيمان فطرة الإنسان

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال :

« كل مَولُود [١] يُولدُ على الفطرة [٢] ، فأبواه يُهَوِّدانه ، أو يُنَصِّرانه ، أو يُمَجِّسانه[٣] ، كما تُنتَج البَهيمةُ بَهيمةً جَمعَاءَ [٤] هل تُحسّون فيها من جَدْعاء ؟! » .

ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم :

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم] [٥] .

شرح الحديث

« كل مولود يولد على الفطرة » كل : لفظ من ألفاظ العموم ، يفيد الاستغراق والشمول ، مثل قوله تعالى : **﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾** [الأنبياء : ٣٥] .

مولود : أى مخلوق ، وهو الجنين الذى خرج من بطن الأم ، سواء كان ذكرًا أم أنثى .

قال الشاعر العربى :

ولدتك أمــك يا ابن آدم باكــيا والناس حولك يضحكون سرورًا

فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا فى يوم موتك ضــاحكًا مسرورًا

يولد على الفطرة : الفطرة المراد بها الدين الحنيف ، مشتق من فطر بمعنى خلق ، ومنه قوله تعالى : **﴿ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾** [يس] .

---

(١) كل : لفظ من ألفاظ العموم ، يفيد الاستغراق والشمول .

(٢) يولد على الفطرة : المراد بالفطرة ، الدين الحنيف ، مشتق من فطر بمعنى خلق .

(٣) فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه : أى يجعلانه يهوديا إن كانوا من اليهود ، أو . . . إلخ .

(٤) بهيمة جمعاء : كاملة الخلقة ، ليس فيها نقص أو تشويه .

(٥) رواه البخارى .

وقول النبى ﷺ للبراء بن عازب ، بعد أن علمه دعاء النوم : « فإن متّ مت على الفطرة » أى إنك إذا قلت هذا الدعاء ، ثم مت من ليلتك تموت على الإيمان ، وعلى الدين الحنيف .

« فأبواه يهودانه » أى يجعلانه يهوديًا ، وهو مشتق من هاد ، بمعنى تاب ، قال تعالى : ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] أى تبنا ورجعنا والمراد من التعبير (يهودانه) أن الأبوين ، يخرجانه من الإسلام الفطرى إلى اليهودية الضالة .

« أو ينصرانه » أى يجعلانه نصرانيًا ، والنصارى ، هم أتباع عيسى عليه السلام ، وهم يسمون أنفسهم مسيحيين ، والقرآن الكريم سماهم نصارى ، وهم أهل الإنجيل ، وقد نسخت شريعتهم ، كما نسخت شريعة اليهود ، بعد بعثة محمد ﷺ ، فأصبح دينهم باطلا ، غير مقبول عند الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾ [آل عمران] .

« أو يمجسانه » أى يجعلانه مجوسيًا ، والمجوس ، هم عباد النار ، أو عبدة الشمس والقمر وغيرها من المعبودات الكونية ، والمجوس موجودون فى زماننا بكثرة ، وهم يعبدون الكون ، أو يعبدون الشجر والبقر ، وهم مشركون ليس لهم كتاب سماوى .

« كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء » تنتج ، بمعنى تولد وتخلق . . والبهيمة ، اسم للدابة التى لا تعقل ، وقد يشبه بها الرجل الأحمق ، ناقص العقل والتفكير ، كما قال الشاعر العربى :

أبنى إن من الرجال بهيمة فى صورة الرجل السميع المبصر

فطين بكل مصيبة فى ماله فإذا أصيب بدينه لم يشعر

جمعاء ، أى كاملة الخلقة ، ليس فيها نقص أو تشويه .

هل تحسون ، أى هل تشعرون بنقص فيها ؟! أو هل ترون وتجدون فيها نقصًا ، وهو مشتق من ـ أحسّ ـ قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) ﴾ [الأنبياء]

« جدعاء » أى مقطوعة الأنف ، أو الأذن ، مشتقة من جدع ، بمعنى قطع ، ومنه

قوله ﷺ : « من قتل عبده قتلناه ، ومن جدع عبده جدعناه » وفى الأمثال : (لأمر ما جدع قصير أنفه) .

الشرح الأدبى :

فى هذا الحديث الشريف، نفحة من نفحات الجمال، وإشراقة من إشراقات النبوة ، فقد وضح عليه الصلاة والسلام ، ببيانه العذب ، وأسلوبه اللطيف الرصين ، ناحية علمية هامة ، يعنى بها علماء الاجتماع ، ويهتم بها الفلاسفة والمفكرون وهى : هل الدين فطرة فى الإنسان ؟! وهل الخير أصل فيه أم الشر ؟! وهل يكون الطفل عند ولادته مزودًا بطاقة روحية ، تلهمه السداد والرشاد ؟! فالنبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه ،وضع أصلا من أصول التربية الخلقية الكريمة .

يعتبر نبراسًا مضيئًا لكل مربّ ينشد السعادة ، ولكل باحث ومفكر يطلب المعرفة والحقيقة، وهذا الأصل الذى أرشد إليه الرسول ﷺ هو : أن الخير فى الإنسان أصيل ، وأن الشر فيه عارض ، وأنه يخلق على الفطرة السليمة ، والصفاء والنقاء ، وأن استعداده للخير كامل ، ولكن المجتمع هو الذى يفسده ، والبيئة التى يعيش فيها هى التى تلوث فطرته ،وتفسد خلقه ودينه ، ولا سيما أبواه ، فهما سبب هلاكه ودماره ، وسبب فساده أو صلاحه ، وسبب استقامته أو اعوجاجه ، فالطفل حين يولد يكون عضوًا صالحًا فى المجتمع ، ولوتُرك هذا الطفل على فطرته ، لنشأ على الإيمان ، وعاش على الخير والصلاح ، ولكن المجتمع الفاسد ، والبيئة المنحرفة ، وأقرب الناس فيها الأبوان ، هى التى تفسد نفسية الطفل ، وتخرب عقليته وفطرته ، فتقلبه من الهدى إلى الضلال ،ومن السعادة إلى الشقاوة ، ومن الإيمان إلى الكفر ، ولولا الأسرة الفاسدة ولولا المجتمع المنحرف ، ولولا الأبوان الضالان ، لبقى الإنسان على فطرته ، طيب النفس ، سليم العقيدة ، مندفعًا نحو حياة الفضيلة والكمال .

فانظر هداك الله ، إلى التمثيل الرائع الذى مثله عليه الصلاة والسلام ، حيث صور الطفل بالشاة التى يخلقها الله تبارك وتعالى ، كاملة الخلق ، جميلة الشكل والصورة ، ولكن الناس هم الذين يشوهون جمالها ، فيقطعون أنفها أو أذنها ، ويعبثون بها حتى تصبح ناقصة الخلق مشوهة التصوير ؟!

أفليست هذه حقيقة ، يدركها كل شخص ، وهى أن الخلق الكامل هو خلق الله ،

وأن النقص إنما يأتى من فعل الإنسان ؟!

فهـذا الحديث الشـريف ، ما هو إلا تصـوير دقيق ـ لحـقيقـة الإنسان ـ وسـمو به وارتفـاع من حضـيض الشر القـائم ، إلى أفق المعرفـة المشرق ، وضـياء الحق المنـير ، فالـناس فى جمـيع العصـور والدهور ، يولدون على الفطرة ، وعلى الاسـتعداد الـتام الكامل للخير والصلاح ، وصدق الله حيث قال :

﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ** ﴾ [الروم : ٣٠] والحديث الشريف يرد على أولئك الذين ينكرون الفطرة، شأن المقولة الشيوعية الخبيثة التى تقول: إن الإنسان يخلق خاليًا من كل شىء يسمى بالدوافع، وإننا نستطيع أن نصنعه كما نشاء. . فهم يعتبـرونه كالآلة الصماء ، أو كالدابة العجـماء ، ولا عجب فى أن ينكروا الدين أو الفطرة ، فقد أنكروا وجود الله من قبل ، وصدق الله حيث يقول : ﴿ **أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)** ﴾ [الأعراف] .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث السادس عشر : الإيمان فطرة الإنسان

رَاوِى الحـديثِ أبُو هُريرة صـاحِب الهـادى الأمين ١

يَرْوِى لنا من قــولِ خـيــرِ الخلقِ خــتم المرسَلِين ٢

أقـوال خــيـر الخلقِ مــثْل النُّورِ يهــدى التّائهين ٣

قَدْ قَال إنّ الطـفل يُولدُ فــيــه إيمـانٌ وَدين (١) ٤

فى عُمــــقِه الإيمـان بالمـولى إلـه العـــالمـين ٥

لـــكـن أبُوهُ وأمُّه ، إن لــم يـكــونـا مُسْلمــين ٦

لا شك سَوْفَ يُوَجّهان الطـفل دربَ الخاسرين (٢) ٧

فــــالطفْل سَوفَ يـكُونُ مع أبَوَيْه ضِمْن الـتّابعين ٨

الطـفل يـتــــبَعُ والدَيه مــــقـلدًا ، هـذا يَقين ٩

أى أنّ للأبَوَيْنِ توجــيــهًا يُشين وقــد يُزين (٣) ١٠

يا صـــــاحِ فِطرةُ ربّنـا فى خَلقه لـلمـــــدركين ١١

مِثْل البـهـائم يُولدُون ، جـمـيـعـهم مُتَكاملين ١٢

لا لم يكن فـيـهـنّ نَقصٌ ، نِعْم خـيـرُ الخَالقين ١٣

سبــحـانه الخـلاق نَعـبُدُه عـبـادة مــخلصين ١٤

---

(١) فيه إيمان ودين : أى فى عمقه الفطرة الإيمانية .

(٢) درب الخاسرين : إلى دين آخر غير الإسلام ، وهذه هى الخسارة التى لا تعوض .

(٣) يشين وقد يزين : إن وجهاه للكفر ، فذاك الشين ، وإن وجهاه للإيمان ، فذاك الزين .

١٧ ـ حديث : « عقوق الأمهات »

عن المغيرة بن شُعْبَة رضى الله تعالى عنه ، أن رسُول الله ﷺ قال :

« إن اللـه حـرَّم عـليكُم عُقُوقَ الأمَّهـات [١] ووأدَ الـبنَات [٢] ، ومنْعًا وهات [٣] ، وكـره لـكـم قِيل وقَالَ [٤] ، وكَثـرةَ السؤَال ، وإضَاعة المال [٥] » [٦] .

شرح الحديث

« حرم عليكم عقوق الأمهات » عقوق : مصدر عقَّ إذا عصى وأساء المعاملة ، قال حافظ إبراهيم :

عقنى الدهر ولولا أننى أوثر الحسنى عققت الأدبا

والأمهات ، جمع ـ أمة ـ وهى خاص بمن يعقل ويقال : أمّاه ـ قال تعالى :

﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُم ﴾ [النساء : ٢٣] وأما لفظ ـ الأم ـ فإنه يشمل من يعقل ومن لا يعقل .

« ومنعًا وهات » أى يمنع ما وجب عليه من حق للغير ، ويطلب مالا حق له فيه . كالشخص الذى يمتنع عن وفاء الدين ، ويطلب إعطاؤه حقوق الآخرين ، فهو ظالم معتد من وجهين :

١ ـ لأنه مانع للحق الواجب عليه .

٢ ـ مغتصب لما ليس له بحق ، قال تعالى :﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ⑦ ﴾ [الماعون] .

(١) عقوق الأمهات : أى مغاضبتهن وعدم إطاعتهن .

(٢) ووأد البنات : دفنهن أحياء ، وهذا كان موجودا فى الجاهلية قبل الإسلام .

(٣) ومنعًا وهات : يمنع ما وجب عليه من حق للغير ويطلب مالا حق له فيه .

(٤) قيل وقال : كثرة الكلام فى ما لا يعنى ، والجدل بالباطل .

(٥) وإضاعة المال : التبذير والصرف فى الوجوه المحرمة .

(٦) متفق عليه .

« وأد البنات » أى دفنهن أحياء ،وقد كان هذا من صنيع أهل الجاهلية قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝٩ ﴾ [التكوير] .

وأول من وأد البنات ـ قيس التميمى ـ حين أُسرت ابنته ، ثم أطلق سراحها ، فوأدها تخلصًا من العار ، وأول من فدى الموءودة ـ صعصعة ـ جد الفرزدق الشاعر المشهور ، وفيه يقول الفرزدق :

وجدّى الذى منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم توأد

« قيل وقال » أى كثرة الكلام،أو الجدل بالباطل ،وهذا من نوع اللغو المنهى عنه ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾ [المؤمنون] وإضاعة المال ، تبذيره وصرفه فى الوجوه المحرمة ، كشرب الخمر ، ولعب الميسر ، وغير ذلك مما حرمه الله تعالى .

الشرح الأدبى :

يهتم الإسلام بتربية أفراده ، على أساس من الفضيلة والخلق الكريم القويم ، ويهتم كذلك بتنشئة الجيل الإسلامى ، تنشئة عالية تبعد عن روح الانحلال والميوعة ، وتدفع به إلى معالى الأمور ، ولهذا نجد فى هذا الحديث الشريف سموّ الغاية ، ونبل الدعوة ،وقدسية الهدف الذى يسعى إليه الإسلام ، من أجل أن يبقى أفراده مجتمعين ، متماسكين متعاونين ، تحكمهم المحبة ، وتربطهم الأخوة ، ويجمعهم الإسلام فى إطاره الإنسانى الرحيم ، إطار المحبة والمودة والإخاء ، فالرسول الكريم ﷺ ، يبين فى هذا الحديث الشريف ، الأمور التى يكرهها الله ، ويبغض أن يرى عليها عباده .

وأول هذه الأمور ، أن يسىء الإنسان إلى من هم أولى الناس بالرعاية ، وأحقهم بالعناية،ألا وهى ـ الأم ـ الأم التى حنت عليه فغذته بلبانها ، وغمرته بحنانها ، وآثرته على نفسها وراحتها ، فشقيت من أجل راحته ، وتعبت من أجل سعادته ، وتحملت الأثقال والآلام ، فى سبيل أن ترى وليدها ، زهرة يانعة ، تعيش بين أزهار الربيع ، فكم من ليلة سهرت من أجل راحته ، لتطرد عنه شبح الخوف ، أو تزيل عنه ألم المرض ، وكم من ساعة قضتها بين جدران البيت تحمله على صدرها ، متعبة مثقلة تواسيه فى وقت شدته ومحنته .

فـهل يليق به بعـد كل هذا ، أن يـسلك طريق العـقـوق ، أو يجنح إلى الإسـاءة والعصيان ؟! وصـدق الله حيث يقول : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] وذلك لعظم حقها على ولدها ، وضخامة شأنها إذ هى السبب المبـاشر ، فى حياة هذا الطفل ، بعـد الله عز وجل ، فلولا رعايتهـا وحنانها ، ولولا تحملهـا المتاعب والآلام ، فى سـبيل تربية هذا الوليـد الناشئ ، لما تربى طفل ولما عاش إنسان !! فلا عجب إذًا أن نرى العناية بالأم تبلغ ذروتها ، وأن تصل إلى درجة أن يقول فيـها الرسول الكريم : « الجنة تحت أقدام الأمهـات » فمن أولى من الأم بالتعظيم والتكريم ؟!

أما الأمر الثانى ، الذى ينبغى اجتنابه ، فهو أن يكون الإنسان ظالمًا ، يمنع ما وجب عليه من حق ، ويـطلب ما ليس له به حق ، فهـذا هو عين الظلم والعدوان الذى عـبرّ عنه رسول الله ﷺ بقـوله : ومنعا وهات ـ فهناك تكاليف مالـية ، وتكاليف اجتمـاعية واجبة على الإنسان ، عليه أن يؤديها على الوجه المطلوب ، فإذا منعها كان ظالمًا .

وأما الأمر الثالث ، مما يبغضه الله ويحرمه الدين ، فهو ذلك الأمر الشائن المتناهى فى القـبح والإجرام ، هو ـ وأد البنات ـ فـقد كـان عادة شـائعة عند العـرب ، فى أيام الجاهلية ، فمنهم من يئد ابنته تخلصًا من العار ، ومنهم من يئدها خشية الفقر ، ومنهم من يئدها سـفها وحمـاقة ، حيث كـانوا يقولون : « الملائكة بنات الله فألحـقوا البنات بالبنات » وفى أمـثال هؤلاء يقول الـقرآن الكريم : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٤٠] .

وأما الأمر الرابع ، الذى حذر منه الرسول الكريم ﷺ والذى يبغضه الله ويمقته ، فهو كثرة القيل والقال ، وكثـرة الجدل والخصام ، وكثرة الكلام ، وتجر إلى الوقوع فى المعـاصى والمحرمـات ، وقد نهى اللـه تعالى عن ذلك بقـوله : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) ﴾ [المؤمنون] .

أما الأمر الخامس ، فهو كثرة السؤال عما لا يعنى الإنسان ، وعما ليس منه فائدة ، فالمؤمن يشـتغل بما يهمـه ،ويدع ما لا يعنيـه ، وقد قال ﷺ : « من حـسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » .

وأخيرًا فإن النبى ﷺ ، ينهى عن تبذير المال ، وصرفه فى غير الوجوه المشروعة ، فإن ذلك يدعو إلى الحسرة والندم ، ويدفع بالإنسان إلى ذل السؤال ، كما قال تعالى

﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) ﴾

[الإسراء]

وصل اللهم هم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث السابع عشر : « عقوق الأمهات »

هَذَا المغيرة (١) قَدْ رَوَى عَن صَاحِبِ الشّرع الأمـين ١
عن خَيْـــر خـلقِ الله طـرًا ، عن إله الـعـــالمين ٢
أشـيــاءُ حـــرَّمَهـا الإلـه على جــمـيع المسلمين ٣
منهـا ، عـقـوقُ الأمّهات ، فـذاك فـعْل المُجْرِمين ٤
حقّ الأمُومــة فَاحـفظُوهُ عن الـهـوى والعـــابثين ٥
ثَانيــــهُمُو وأدُ البنـات ، فَذَاك فعْلُ الجـــاهـلين ٦
والبـخل من شرّ الطباع ، فـبـئس طبعُ الجاحـدين ٧
البـــاخلُون فـــإنـهم ليـــسُوا مِنَ المتـــوكـلين ٨
والقِيـل ثم الـقَالُ ليـــــسَا من صِفَات المـؤمنـين ٩
تالـله قَد كـــــرِهَ الإلـه القَوْلَ والمـتَقَوِّلين (٢) ١٠
لا خـيـر فى القـول الكثيـر لغَيْـر إصـلاح ودين ١١
والسَّائلون لغـــيـر ربّ العـرشِ ليـــسـوا مـوقنين ١٢
ليـــســـوا بما عنـد الإله على الحَقِيـــقَة واثقين ١٣
أمـا التـــسـاؤل فليكن فـــيـمـا يُفَــيـد المستَبين ١٤
مَا زَادَ عن ذا ، فـهـــو مَذمـوم من المتـــســائلين ١٥
والمال أيضًا فـاحـذروه يضـيـع فى عـبث مـشين ١٦
فى الخـــيـــر دَوْمًا أنـفقُوهُ على طريـقِ المصْلحين ١٧

---

(١) هذا المغيرة : هو المغيرة بن شعبة ، الصحابى الجليل .
(٢) القول والمتقولين : كثرة الكلام فيما لا يفيد ، أو ربما عن نقل الكلام .

١٨ ـ حديث : الوصايا الخمس

عن أبى هُرْيرةَ رضى الله تعالى عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال :

« من يأخُذُ عنّى هَذه الكلماتِ (١) ، فَيعملُ بهنّ ، أو يُعلّم مَن يعملُ بهن ؟!

قال أبو هريرة : فقلت : أنَا يا رَسُول الله ، فأخذ بيدى ، فعد خمسًا فَقَال :

اتّق المحَارِمَ تكن أعبدَ الناس (٢) .

وارضَ بما قَسَم الله لك تكن أغنى الناس .

وأحسِن إلى جارك تكن مؤمنًا .

وأحبّ للناس ما تُحبّ لنفسك تكن مسلمًا .

ولا تكثر الضحِك فإن كثرة الضحك تميت القلب (٣) » (٤) .

شرح الحديث

« من يأخذ عنى هذه الكلمات » المراد بالكلمات ، الوصايا الخمس التى أعطاها رسول الله ﷺ لأبى هريرة .

« اتق المحارم تكن اعبد الناس » المحارم: جمع محْرُمة ، وقد تفتح الراء ـ محرمة ـ وهى ما حرم الله فعله وعمله على العباد ، وفى الحديث الشريف : « ألا وإن حمى الله فى الأرض محارمه » أعبد الناس : أفعل تفضيل ، أى أكثرهم عبادة ، وأعظمهم خشية لله .

---

(١) هذه الكلمات : المراد بالكلمات ، الوصايا الخمس .

(٢) أعبد الناس : أكثرهم عبادة .

(٣) تميت القلب : أى تذهب نوره وبهاءه .

(٤) رواه الترمذى .

« وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » أى اقنع بنصيبك من الدنيا ، تكن أغنى الناس ، فالقناعة كنز لا يفنى ، وفى القناعة راحة للقلب والبال .

« وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا » أى صل حبل المودة بينك وبين جيرانك ، لأن الجيران هم الأقرب لبعضهم البعض ، لذلك يجب على الجيران أن يكونوا على صلة حسنة ببعضهم دائمًا .

« وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا » أى كما تحب الخير لنفسك ، أحببه للآخرين ؛ لأن ذلك لا يُنقص من نصيبك الذى قدره الله لك شيئًا ، وهذه أيضا هى أخلاق الإسلام ، كما أوصى بها رسول الله ﷺ .

« ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » أى تُذهب نوره وبهاءه ، وتُفقد الإنسان شعوره وإحساسه ، فلا يستفيق لنصح ، ولا يرتدع عن غىّ ، وكثرة الضحك ، دليل السّفَه وخفة العقل .

الشرح الأدبى :

حين تسمو النفوس وتكبر الآمال ،وتصبح الحياة عامرة بالتقوى وفضائل الأعمال ، تتطلع النفس البشرية إلى معرفة الفضائل والمكارم ، فتصبح العبادة محبوبة إلى النفس ، وتصبح الطاعة سجية من سجاياها ، وبذلك يرتفع الإنسان فوق المغويات والمغريات ، ولا يبقى للمادة قيمة فى نظره ولا سبيل إلى قلبه ، كيف لا وقد أصبحت المثل العليا همّه وغايته ، وأصبح حب الخير غرضه وهدفه !! والرسول الكريم ﷺ يوضح لنا فى هذا الحديث النبوى الشريف ، الذى هو قبس من قبسات النبوة ، ومنار من منارات الهدى ، يوضح لنا سبيل الخير ، ويرشدنا إلى مدارج العز والكمال ، فى وصاياه الثمينة الغالية التى فيها من الحِكم ما يثلج الصدر ويشفى الغليل .

ففى الوصية الأولى : بيان لمعنى العبادة الحقة فليست العبادة صورًا وأشكالاً ، ولا مظاهر وهمية ، لا صلة لها بالمجتمع والحياة ، بل هى الجمال والجلال ، والاستقامة على شريعة الله ، فإذا اجتنبت المحارم ، وابتعدت عن مزالق الهوى ومكائد الشيطان ، وطهرت نفسك من الفحش والرذيلة ، فأنت العابد الزاهد ، وأنت التقى الصالح الذى يريده ويحبه الإسلام .

وفى الوصية الثانية : بيان لحقيقة الغنى ، فليس الغنى بكثرة المال ، ولا بملك العقار ، ولكنها فى غنى النفس ،كما قال ﷺ : « ليس الغنى عن كثرة العرض ،

ولكن الغنى غنى النفس » فالرضا بالرزق والمقسوم راحة للنفس ، وطمأنينة للقلب ، بل هو السعادة نفسها . . وليست الثروة والمال هى كل ما أنعم الله تعالى بها على الإنسان ، بل إن من النعم ما يفوق نعمة الغنى والمال : فالإيمان والصحة والسلامة والعيش فى ظلال الأمن ، كلها نعم تفوق نعمة المال ، وصدق الله حيث يقول : ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾ [النحل : ١٨] .

وفى الوصية الثالثة : دعوة إلى البر والإحسان . . أن يحسن الإنسان إلى أقرب الناس إليه ، وأولاهم بحسن معاملته ألا وهو الجار الذى أوصى به سيد البشر محمد ﷺ حيث قال : « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » .

وفى الوصية الرابعة : تظهر مثالية الإسلام، فى حبه الخير لجميع الأنام، فليس الدين إلا رحمة وعطفًا ، وليست الأخلاق إلا إنسانية ونبلاً ، ولهذا لا يتحقق الانتماء إلى الإسلام ، إلا بحب الخير لجميع الناس ، دون تفريق بين ألوانهم وأجناسهم ، وحتى أديانهم ، وهذا هو أدب القرآن ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ [البقرة : ٨٣] وتوجيه الرسول الكريم فى قوله الخالد : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وفى الوصية الخامسة : دعوة إلى الخلق الرصين ، باجتناب حياة الهزل ، وتحذير من الإكثار من الضحك ، فإن ذلك يتنافى مع وقار المسلم ، فليست الحياة لهوًا وعبثًا ، وليست هزلاً وصخبًا ، بل هى حياة الاعتدال ، فلا بأس من اللهو البرىء بما يعود على الإنسان بالفائدة، كالرياضة فإنها تفيد الجسم ، ولا بأس من الابتسامة الهادئة بلا قهقهة ، لأن القهقهة مما يتنافى مع الوقار ، بل تنبئ عن الرعونة .

فلله ما أجمل أخلاق الإسلام !! وما أروع نصائح الرسول !! وما أسعد المسلمين لو تمسكوا بها !!

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث الثامن عشر : الوصايا الخمس

هذَا ابن صـخر [(١)] رَاوِيًا مِنْ قـوْلِ خَيْرِ الـعَالمين ١
أنّ الـنبـيَّ عـليـه صَلى رَبُّنـا فى الأولـين ٢
قـدْ قَال يـومًا حَيْثُ كنّا حـوله مُتَجـمّعين ٣
فلتـسـمـعُوا قـولى وكـونوا للمـقـالة مـدركين ٤
عنـدى وصَايا غَاليـاتٌ نافـعـاتُ المؤمـنين ٥
مَنْ منكـمـو بالحَزْم يأخُذُهَا وفكْرِ الفـاهمين ؟! ٦
فلـيَعَملنّ بهـا ويُعطيـهـا لقـوم آخـرين ٧
فـورًا أنـا قلت : أعطـنيـهـا يا إمـام المتّقين ٨
أخـذَ النبىُّ يَدى وقـد عـدّ الوصـايا كـاملين ٩
أولى الوصايا ، قال : كفّ عن المحـارم أجمعين ١٠
إنْ تَبْتَعـدْ عنهـا تكنْ فى قـمـة المـتَعبّدين ١١
ثانى الوصَايـا ، كنْ برزق الله بين المـرتضين [(٢)] ١٢
إنْ ترضَ بالمقـسـوم تَغْدُ قـمـةً فى الموسرين [(٣)] ١٣
أحْسِنْ إلى الجـيـران ثالثـهـا تكن فـى المؤمنين ١٤
لكـنّ رابعَةَ الوَصـايا كنْ بهـا فى الموقـنين ١٥
أحْبب لكلّ الـناسِ مـا تَرجُو لنَفـسك فى يقين ١٦
وإليك خَامسَةُ الوصَايا : كـثـرةُ الضّحك المشين ١٧
إذ أنّ كـثـرتهُ تُمـيتُ القَلْبَ عن ذكـرِ ودين ١٨

---

(١) ابن صخر : هو أبو هريرة الصحابى الجليل .
(٢) بين المرتضين : ارض بما قسم الله لك .
(٣) قمة فى الموسرين : أى من أغنى الأغنياء .

١٩ ـ حديث : أى الرقاب أفضل ؟!

عن أبى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه قال :

سألت رسولَ الله ﷺ : أىّ العَمل أفضَلُ ؟! قال : « إيمانٌ بالله وجهادٌ فى سَبيلهِ » ، قلتُ : فأىُّ الرّقَاب أفضَلُ ؟!

قال : « أغلاها ثَمنًا ، وأنفَسَها عند أهلها » ، قلت : فإن لم أفعل ؟! قال :« تُعين ضائعًا ، أو تَصنع لأخرق (١) » ، قلت : فإن لم أفعل ؟!

قال : « تَدَعُ الناسَ من الشرّ (٢) ، فإنها صَدقَةٌ تصدّق بها على نفسك (٣) » (٤).

شرح الحديث

أى العمل أفضل ؟! قال : « إيمان بالله وجهاد فى سبيله » .

لا شك أن الإيمان بالله يترتب عليه أصلاً ،قبول عمل الإنسان عند الله من عدمه ، والإيمان بالله هو : اعتقاد بالقلب ، وتصديق باللسان ، وعمل بالجوارح ، وأصل الإيمان ـ الاعتقاد ، والتصديق ـ الجازم الذى لا يخالطه شك أو ارتياب .

والجهاد فى سبيل الله ، يعتبر قمة عمل المسلم ، ذلك لأنه يقاتل الأعداء ، أعداء الدين الإسلامى ، من ثم فهو معرض للقتل ، إذًا فأى قول يقال : بأن هناك من الأعمال ما يعدل الجهاد فى سبيل الله ، فلا يلتفت إليه ، لأن الذى يضحى بنفسه ، من غير شك يعتبر أفضل من الذين يضحون بأى شىء آخر .

---

(١) أو تصنع لأخرق : الأخرق ضعيف العقل .

(٢) تدع الناس من الشر : أى لا تكن سببًا فى إثارة الشر .

(٣) تصدق بها على نفسك : لا تجلب الشر ، ولا تعين الأشرار فأنت حينئذ قد أحسنت إلى نفسك وإلى مجتمعك .

(٤) فتح البارى ٥ / ١٧٦ .

وبالتالى فـإن منزلة المجاهد فى سبـيل الله ، والذى يجاهد لإعـلاء كلمة الله ، لا تعدلها منزلة . وأيضًا فمنزلة الشهيد عند الله ، منزلة رفيعة لقوله تعالى :

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) ﴾ [آل عمران] .

أى الرقاب أفضل ؟! قال : « أعلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها » أعلاها ثمنًا : أكثرها ثمنًا ، وأنفسها عند أهلها : أى اغتياظهـم بها أشد ، فإن عتق مثل ذلك ما يقع غالبًا إلا خالصًا ، وهو كقوله تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢] .

« قلت : فإن لم أفـعل ؟! » أى إن لم أقدر على ذلك ، قـال : تعين ضائعًا ، أو تصنع لأخرق . . المراد بالضائع ، أى ذو الضياع من فـقر أو عيال ، والأخرق : أى لا صنعة له ، والجمع خُرق ، بضم فسكون ، وامرأة خرقاء كذلك .

« فإن لم أفعل ؟! » أى من الصناعة ،أو الإغاثة ، أى للعجز عن ذلك لا كسلاً .

« تدع الناس من الشـر » فـيـه دليل علـى أن الكف عن الشـرّ ، داخل فى فـعل الإنسان وكسبه ، حتى يؤجر عليـه ويعاقب ، غير أن الثواب لا يحصل مع الكف ، إلا مع النية والقصد ، لا مع الغفلة والذهول .

قال القـرطبى ملخصًا قوله : « فإنهـا صدقة تصدّق » والأصل : تتـصدق . وفى الحديث : « أن الجهاد أفضل الأعمال بعد الإيمان » .

قيل : قرن الجهاد بالإيمان هنا ؛ لأنه كـان إذ ذاك أفضل الأعمال ، قال القرطبى : تفضـيل الجهاد فى حال تـعيّنه ، وفضل بر الوالدين لمن يكون له أبوان فـلا يجاهد إلا بإذنهما .

وحاصله أن رسول الله ﷺ ، اختلفت إجاباته عن هذا السؤال ، باختلاف أحوال السائلين : أى الأعـمال أفضل ؟! بأن أعلـم كل قوم بما يحتـاجون إليه ، أو بمالهم فـيه رغبة ، أو بما هو لائق بهم ، أو كـان الاختلاف باختـلاف الأوقات ، بأن يكون العمل فى ذلك الوقت أفضل من غيره . . فقد كان الجهاد فى ابتداء الإسلام ، أفضل الأعمال وقد تضـافرت النصـوص على أن الصلاة ، أفـضل من الصدقة ،ومع ذلـك ففى وقت

مواساة المضطر ، تكون الصدقة أفـضل ، و « أفضل » ليست على بابها ، بل المراد بها الفضل المطلق ، أو المراد من أفضل الأعمال ، فحذفت من ، وهى مرادةٌ . . وقال ابن دقيق العيد : الأعـمال فى هذا الحديث ، محمولة على البـدنية ، وأراد بذلك الاحتراز عن الإيمان ؛ لأنه من أعمال القلوب .

وقيل : المراد بالجهاد هنا ، ما ليس بـفرض عين ، لأن الجهاد هنا يتوقف على إذن الوالدين ، فيكون برهما مقدما عليه . . والله أعلم .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث التاسع عشر : أى الرقاب أفضل ؟!

هـذاَ أبُو ذَرّ يَقـــولُ بكُلّ صدْق الـصّادقـين ١
إنـى سَألـتُ المصـطـفـى سُؤْل الرجال الـفَاهمـين ٢
مـا أفضلُ الأعـمـال ؟! إنى سَائلٌ كى أستَبين [1] ٣
قَالَ النبىّ يُجـيـبُنـى فى قـوله نـورٌ مُبين ٤
عن أفـضـل الأعـمـال ، إيمان برب الـعـالمين ٥
أن لا إلـه سِوَاه ، لـيـس لـهُ شَريـك أو مُعـين ٦
ثم الجـهـاد لردّ كـيْد الظـالمين المـعْتَدين ٧
من لـم يُجـاهدْ فى سَبِيـل اللـه بَيْن المؤمـنين ٨
مَقْتُ الإلـه يَنَالـهُ والذّلُّ فـى دنيـا ودِيـن ٩
وسألتُ ، ما خَيرُ الرِّقاب ؟! أجاب بالقَول الأمين ١٠
مَنْ كـان بالمال الكثـيـر شـراؤه [2] مـن بائعـين ١١
بادرْ لتـعـتـقَهُ ، فـتـغـدو فى عداد المحـسنين ١٢
بادرتُ أسـألُهُ ، فـإن لم أستَطعْ كـالآخـرين ؟! ١٣
قـال الـنبى : تُعِينُ ذا فَقْرٍ بـصدْق المخلـصين ١٤
أو تعـملنّ لجـاهل ، فـى عـقـله نقْصٌ مُشين ١٥
كـرّرت ، إن لـم أستَطع هَذَا وهَذَا عَن يقين ؟! ١٦
قـال النبـىّ : تكفُّ شـرّا عن جـمـيـع العـالمين ١٧
إنْ تسـتَطعْ هذا ، فقـد أصبـحتَ فى المتصـدقين ١٨
هذا التّصـدّق عـاد منك عليك كن فـى الموقنين ١٩

---

(١) كى أستبين : أى أتبين الصواب من الخطأ .

(٢) بالمال الكثير شراؤه : أى ثمنه غال . وهو من الرقيق ، حيث كانوا يباعون .

٢٠ ـ حديث : حقيقة الإفلاس

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، أن رَسُولَ الله ﷺ قال :

« أتَدرونَ مَن المفْلسُ ؟! » قالوا : المفْلسُ فينا مَنْ لاَ درْهمَ لَهُ ولا متَاعَ (١) ، فقال ﷺ : « إن المفْلسَ من أمَّتى ، مَن يأتى يومَ القيامة بصَلاة ، وصيام ، وزَكاة ، ويأتى وقدَ شتَمَ هَذَا ،وضَربَ هَذَا ،فَيُعطَى هَذَا من حَسَنَاته ، وهذا من حَسَناته ، فإن فَنيَت حَسَنَاتُه (٢) قبل أن يُقضى مَا عَليه (٣) ، أُخذَ من خَطاياهم فَطرِحَت علَيه ، ثم طُرِح فى النار » (٤) .

شرح الحديث

« أتدرون من المفلس؟! » يقال: أفلس الرجل إذا فقد ما يملك ، من مال أو متاع ، وقد شاع استعمال الإفلاس ، فى النواحى المادية يقال : ضرب الإفلاس عليه أطنابه ، والرسول ﷺ ، أشار إلى الإفلاس من الحسنات ، والإفلاس من الخير ، واعتبره هو الإفلاس الحقيقى ، فهناك مفلس من المال ، ومفلس من الحسنات .

« سفك دم هذا » أى أراق دمه وقتله بدون حق ، وقد جاء فى الحديث الشريف : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث . . . » الحديث .

« وقذف هذا » أى شتمه ورماه بالفاحشة : أى الزنا ، وأصل القذف :الرمى بالحصى أو الحجر ، ثم توسع فيه ، فأصبح الرمى باللسان وبالكلام يسمى : قذفًا ، تشبيهًا له بمن يرمى الحجارة ، أو الشىء الصلب بيده قال ﷺ :« اجتنبوا السبع

(١) لا درهم له ولا متاع : أى فقير الحال ، مُعدم .

(٢) فنيت حسناته : أى لم يبق له حسنات .

(٣) قبل أن يقضى ما عليه : أى قبل أن يأخذ أصحاب الحقوق حقوقهم ، وسداد الحقوق يوم القيامة يكون من حسنات المحقوق .

(٤) رواه مسلم .

الموبقات » ، وعد منها ـ قذف المحصنات المؤمنات الغافلات ـ أى رميهن بالزنا .

« فنيت حسناته » أى نفدت ولم يبق منها شىء ، والمراد أن الغرماء أصحاب الحقوق ، أخذوا من حسناته يوم القيامة ، بدل حقوقهم التى لهم عليه .

« طرحت عليه » أى أخذت ذنوب المظلوم ، فجعلت على الظالم ، أى فى كفة سيئاته ، وفى الحديث الشريف : « من كانت عنده مظلمة لأخيه ، فليتحلل منه اليوم ، قبل ألا يكون درهم ولا دينار . . . » الحديث .

الشرح الأدبى :

لم يترك رسول الهدى والرحمة ، طريقًا من طرق الخير ، إلا دلّ أمته عليه ، ولم يترك سبيلاً من سبل الشر ، إلا حذّر أمته منه ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين ، خير الجزاء ، وفى هذا الحديث النبوى الشريف ، يلفت الرسول الكريم ، أنظار الصحابة رضوان الله عليهم ، إلى أمر عظيم هام ، وإلى ناحية دقيقة ، طالما غفل كثير من الناس عنها ، ولم يفطنوا لها ، تلك هى تصور مفهوم الإفلاس ، على حقيقة فالناس يعتبرون المفلس من لا يملك من المال شيئًا ، أو من ثروته وماله ، فهم يحصرون الإفلاس فى المادة فحسب ، ويجعلونه قاصرًا على الدرهم والدينار والمتاع ، والرسول الكريم ﷺ ينظر إلى الإفلاس من زاوية أوسع ؛ لأنه يهتم بالحقيقة دون الصورة ، وبالواقع دون المظهر ، فهو يخاطب أصحابه بأسلوب فيه إثارة إلى البحث والتفكير .

فكم من أناس ملكوا الدنيا ، وكدسوا الثروات الضخمة ، وعاشوا فى هذه الحياة مترفين ، ولكنهم كانوا تعساء لأنهم أناس مفلسون قد ذهبت حسناتهم وتلاشت خيراتهم وذهبت إلى أولئك المظلومين ، الذين اعتدى عليهم .

وهكذا يمضى عليه الصلاة والسلام ، فى بيان حقيقة المفلس ، الذى ينبغى أن نرثى لحاله فيقول : « إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة ، بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا » . . . إلخ ـ أليس هذا مما يدعو إلى الحسرة والإشفاق ، أن يجمع الإنسان الحسنات ، ثم يأتى يوم القيامة ، وقد ذهبت لخصومه ولم يبق له منها إلا سيئات خصومه الذين ظلمهم ، فى الدنيا فتطرح عليه ، ثم تكون نهايته سَقَر ، اللهم جنبنا السوء والفحشاء،واجعلنا من عبادك الصالحين آمين .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث العشرين : حقيقة الإفلاس

يَروِى الصَّحَـــابىّ الجلـيلُ أبـو هريْرةَ فـى يَقين ١
قـــالَ الـنبىّ لـنا وكنـا حوْلَه مــتـــجــمّعين ٢
هل تعـلمـــوُن مَن الذى هو فى عداد المـفلسين ؟! ٣
قـــالوا : فـــذاك هُوَ الـفقيـــرُ وَفى عداد المعْدمين ٤
فـــــوراً رَسُولُ الله قـــــال مُصَحّحًا للـقائلين ٥
لا ، ليَس هـذا مُفلسًا ، كـــونوا لقَولـى مُدركين ٦
بـــل إنـه مَنْ جاءَ يَوم الحَشْرِ ضمـــن الـعَابدِيـــن ٧
يأتـى بَصــومْ مـع صَلاةٍ مع زكـــاة المحـــسنين ٨
حَسَنَاتُه مـــثل الجـــبـــال تُرى لـكل الناظـرين ٩
لـكنـه قَدْ كـــــان سبّابًا يَسُبّ الآخــــريـن ١٠
أيضـــا وكـــان يُحبّ أكـل المال فى نهـم مُشين ١١
سَفْك الدمـــاء لديه كـان مُحـــبَّبًا كـالمجـــرمين ١٢
أى أنه مـــا كـــان ذا خُلقٍ وليس لـديه دين (١) ١٣
هذا لَعـــمْرُ الله يوم الحـــشـر بـين الخـاســرين ١٤
يأتـى إليـــه خُصُومُه يوم القيـــامـــة طـالبين ١٥
ربّ السَّمـــاءِ لســوف يُعْطيـــهم عَطـاءَ المنْصفين ١٦
يُعطـى لهـم حَسنَاته كـــــانـت لكـل الدائـنين ١٧
لكـنهـــا لم تـكفِ للـطلاب (٢) والمـتظـلمـين ١٨
من ثَم يُطرح من خـطاياهم علـيـــه فَلا يبين (٣) ١٩
أيَضًا ويُلقى فـى جَهنم فى عــــداد الكافـــرين ٢٠

---

(١) وليس لديه دين : أى كان يتعبد ليراه الناس ، ولم يكن عن عقيدة .
(٢) لم تكف للطلاب : أى طلاب الحق الذين ظلمهم .
(٣) فلا يبين : أى لم يستطع أن يعترض ولا بكلمة واحدة .

٢١ ـ حديث : شعب الإيمان

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسُولُ الله ﷺ :

« الإيمانُ بضْع وسَبعُون (١) شعبة (٢) ، أو بضع وستون ، فأفضلها ، قَولُ لا إله إلا الله ، وأدناها (٣) إماطَةُ الأذى (٤) عن الطريق ، والحياء شَعْبَةٌ من الإيمان » (٥) .

شرح الحديث

« الإيمان بضع » البضع بكسر الباء من ثلاثة إلى تسعة ، قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : ﴿ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) ﴾ [يوسف] وأما بالضم ، فالمراد منه : الجماع والشهوة ، قال ﷺ : « وفى بُضع أحدكم صدقة » وتتمة الحديث : قالوا : يا رسول الله ، أيأتى أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟! قال : « أرأيتم لو وضعها فى حرام ، أكان عليه وزر ؟! فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر » .

« أو بضع وستون » أو للشك ، والشك إنما جاء من الراوى ، وهو : أبو هريرة ولما كان الحديث النبوى مرويًا باللفظ ، ويخشى الراوى الزيادة فيه أو النقص منه ، جاء بصيغة ـ أو ـ للإشارة إلى أنه متردد فى سماعه من النبى ﷺ هل قال : بضع وسبعون أو بضع وستون ، شك فيه الراوى .

« شعبة » الشعبة ، الخصلة ، أو القطعة من الشىء ، أى الجزء منه ، والمراد من الحديث الشريف أن الإيمان بضع وسبعون خصلة ، أو جزءًا ، وأن الحياء أحد هذه الأجزاء والخصال .

---

(١) بضع وسبعون : البِضع ، من ثلاثة إلى تسعة .

(٢) شعبة : الشعبة ، الخصلة ، والقطعة من الشىء .

(٣) أدناها : أى أدونها قدرًا ، وأقلها شأنًا .

(٤) إماطة الأذى : إزالة الأذى ، كرفع حجر أو أى شىء قد تعثر فيه أقدام المارة .

(٥) رواه البخارى ومسلم .

قال ابن حبان : عددت كل طاعة عدها الله فى كتابه ، والنبى ﷺ فى سنّته فإذا هى : تسع وسبعون لا تزيد ولا تنقص ، فعلمت أنه المراد ، ورأى اكثر المحدثين أنها تسع وسبعون ، لا تسع وستون .

« فأفضلها لا إله إلا الله » هذه الجملة مكونة من لفظين أحدهما سلبى ، والآخر إيجابى ، فالجزء الأول منها ـ لا إله ـ هو السلبى ، وهو نفى الألوهية نفيًا باتًا عن كل مخلوق ، والجزء الثانى ـ إلا الله ـ هو الإيجابى وهو إثبات الألوهية لله وحده دون سواه ، والمعنى ـ لا معبود سواه .

« وأدناها إماطة الأذى » أدناها أى أدونها قدرًا ، وأقلها شأنًا ، يقال : أدنى الشىء بمعنى أقله وأحقره ، وأدنى الشىء ، بمعنى أقربه قال الشاعر العربى :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم   أدنى إلى شرف من الإنسان

وإماطة الأذى : أى رفعه وإزالته عن الطريق ، كرفع حجر ، أو تنحية شىء ضار قد تنزلق عليه الأقدام .

« الحياء » هو لغة تغير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب عليه ، وفى الشرع هو : خُلُق يبعث على اجتناب القبيح الذى يمقته الله سبحانه وتعالى ويكرهه .

الشرح الأدبى :

فى هذا الدين العظيم ، الذى جاء به سيد الأولين والآخرين ، آداب اجتماعية ، ومُثل إنسانية ، وأخلاق رفيعة ، تجعله بحق ، مفخرة الأديان ، ورائد جميع التشريعات السماوية ، والنظم الأرضية ، بما يحقق الخير والعدل ، والسعادة لبنى الإنسان ، فما من فضيلة من الفضائل ، ولا مكرمة من المكارم ، ولا صغيرة أو كبيرة ، من الآداب الاجتماعية الحميدة ، إلا دعا إليها الدين ، ورغب فيها الإسلام ، وإن شئت فقل : إنه دين الآداب والأخلاق ـ بل إنه دين الحياة بأسرها ؛ لأنه دين الفضائل والكمالات .

فالإيمان ليس مجرد اعتقاد بالله ، أو خوف من عقابه ، إنما هو عقيدة وعمل ونظام وأدب ، وخلق واستقامة فهو درجات متعددة ، يبدأ بالنطق بكلمة الإخلاص ، التوحيد ـ لا إله إلا الله محمد رسول الله ـ وينتهى برفع الأذى عن طريق الناس ، فلله ما أسمى هذا الدين الذى يجعل من الإيمان بالله طريقًا إلى الإحسان إلى خلقه ، ويجعل

من تمام العقيدة ، رفع الأذى عن طريق الناس : مسلمين وغير مسلمين .

وحقًا إنه لما يرفع رأس المسلم عاليًا ، أن يأتى تشريع الإسلام ، بمثل هذه النظم الرفيعة ، والآداب الكريمة ، وأن نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام ينص على أن من مراتب الإيمان ، ومن خصال اليقين ، أن يزيل المسلم الأذى عن الطريق ، وأن يكون متصفًا بمكارم الأخلاق ، فيستحى الحياء المطلوب ، ويبتعد عن سفاسف الأمور ، فيكون فى نفسه تقيًا ، ومع الناس حييًا ، فالحياء لا يأتى إلا بخير ؛ لأنه شعبة من شعب الإيمان ، وخصلة من خصال الدين ، وقديما قال الشاعر العربى :

فلا والله ما فى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحاء

وليس الحياء الحقيقى أن يكون الإنسان كثير الخجل ، يستحيى من المطالبة ، حتى من حقوقه المشروعة ، ولكن الحياء أن يجتنب القبيح ، ويبتعد عن الرذائل ، ويطهر نفسه من الرجس والآثام ، وأن ينفر من عمل ما يعاب عليه ، وقد وضح هذا المعنى قول النبى ﷺ فى حكمه الروائع : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث الحادى والعشرين : شعب الإيمان

راوى الحـديث أبو هريـرة صَاحِبُ الهـادى الأمين ١
يَروِى عن المعـصُوم قـولاً مـشـرقًا للفـاهمين ٢
قـال النبـىّ وقـولهُ كـالنور يهـدى التـائهين ٣
هاكـم عن الإيمـان قـولاً فـاقَ كل الـقَائلين ٤
فلتـعـلمـوا ، الإيمان شُعَبٌ عدّةٌ هذا يـقين ٥
قـد فـاقت السـبْعيـن عَدًا ، فلتكونـوا مُوقنين ٦
لكنَّ أفـضلـهـا جـمـيـعًا ، عند كـل العَارفن ٧
هى شُعْبة التّوحيد [١] حقًا ،عمق كل المخلصين [٢] ٨
إن الموحّد دون شك ، فى صُفُوف الفـائزين [٣] ٩
أيـضًا وأدنـاهـا بـحـق ، لا تـكـونُوا جَاهـلـين ١٠
رَفعُ الأذَى عن درب قـوم كى يسـيـروا آمنين ١١
ولْتَعْلمُوا أن الحـيـاءَ يَزُينُ كـل المؤمـنين ١٢
هو شُعـبَةٌ من عـدة السَّـبعين كـونوا مـوقنين ١٣
نِعْم الحـيـاءُ فـإنـه خـيـر لكل المسـلمين ١٤
مـا أحـسَنَ الإيمان بـالمولى إلـه العـالمين ١٥

---

(١) هى شعبة التوحيد : الاعتراف بوحدانية الله .
(٢) عمق كل المخلصين : أى فى قلب كل مسلم مخلص .
(٣) فى صفوف الفائزين : بين الذين سوف يفوزون بالجنة يوم القيامة إن شاء الله .

٢٢ ـ حديث : حقيقة الحياء

عن أبى هُرَيْرةَ رضى الله تعالى عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال :

« اسـتَحْيُوا من الله [١] حَقّ الحـياء » ، قـالُوا : إنا لنَسْتَحـيى من الله ، والحمد لله !

قَال عليـه الصـلاة والسَّلام : « لـيس ذاك ، من اسْتَحـيـا منَ الله حَقّ الحيـاء ، فليحـفظ الرَّأسَ وما وعَى [٢] ، ولْيَحْفَظ الـبطـن ومَا حَوَى [٣] وليذكرَ الموت والبلى ، ومَنْ أرَادَ الآخرةَ ، تَرك زينة الحـياة الدنيا ، مَن فَعَل ذلك ، فقد اسْتَحياَ من الله حَقّ الحياءِ » [٤] .

شرح الحديث

« استحيوا من الله حق الحياء» الحياء هو انقباض النفس عن إتيان أمر مخافة الذم ، وهو نوعان: حياء ممدوح ،وحياء مذموم ،فالممدوح مثل أن يترك القبيح حياءً من الله ، والمذموم مثل أن يتـرك المطالبة بحقوقه ، أو يترك السـؤال فى أمور دينه ، وفى حديث عائشة : « رحم الـله نساء الأنصار ، ما منعهـن الحياء أن يتفقـهن فى الدين » قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَق ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

« فليحفظ الرأس وما وعى » المراد ما حواه الرأس وهو: السمع، والبصر والكلام، فلا يسـمع إلى فحـش الكلام ، ولا يتكلم بفاحش الكلام ، ولا ينـظر إلى محـرم قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً (٣٦) ﴾ [الإسراء] .

« وليحـفظ البطن وما حوى » المراد أن يحـفظ نفسه ، من أكل الحـرام ، ويحفظ

---

(١) استحيوا من الله : الحياء هو انقباض النفس عن إتيان أمر مخافة الذم .

(٢) فليحفظ الرأس وما وعى : مثل السمع ، والبصر ، واللسان .

(٣) البطن وما حوى : فلا يأكل الحرام ، ويحفظ فرجه من الفاحشة .

(٤) رواه الترمذى .

فرجه من الفاحشة والزنا ؛ لأن البطن يحوى شهوة الطعام وشهوة الجنس ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [المؤمنون] .

« زينة الحياة الدنيا » المراد زخرفها وبهرجها الخادع الذى يفتتن به كثير من الناس ، قال تعالى : ﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه] .

الشرح الأدبى :

فى هذا الحديث الشريف ، قبس من أقباس النبوة وشعلة من شعل الإيمان ، يرشدنا إليها نبى الهدى والرحمة ؛ لنجعلها نبراسًا لنا فى الحياة يضىء أمامنا الطريق ، ويأخذ بأيدينا إلى معارج العز والسعادة ، فلا خير فى الإنسان إذا تعرى من الفضائل ، ولا قيمة له إذا فقد الحياء والأخلاق ، فالأمم إنما تشاد بأخلاقها ، والمجتمعات إنما توزن بآدابها ، وإذا لم يكن عند المرء خلق وأدب ، فلا خير فيه وقديما قال الشاعر العربى :

إذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستحى فاصنع ما تشاء

فلا والله ما فى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحاء

فالرسول ﷺ يدعو أصحابه فى هذا الحديث الشريف إلى التخلق بخلق الحياء الكريم ، الذى هو من صفات ـ المؤمن الكامل ـ ويرشدهم إلى حقيقة معنى الحياء ، الذى يحبه الله تعالى ، ويريده لعباده . . الحياء الصادق الذى يعصم صاحبه من الانحراف ، ويجنبه من التردى فى مهاوى الزيغ والضلال فيقول صلوات الله وسلامه عليه .

« استحيوا من الله حق الحياء » فليس المقصود هو مجرد التظاهر بالحياء ، أو التخلق به بالشكل الذى تعارف عليه الناس ، بل الغرض أن يعرف المؤمن حقيقة معنى الحياء ، المنبعث من جوهر الإيمان ، فالحياء الحقيقى هو الذى يسمو بصاحبه نحو الكمال ، ويرتفع به عن حضيض المعاصى ، الذى انغمس فيه كثير من الناس ، حيث سادوا مع شهواتهم وأهوائهم ، ولم يصونوا جوارحهم وأعضاءهم ، ولذلك فقد نبه عليه الصلاة والسلام ، إلى هذا المعنى الدقيق حين قال :

« من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى ، وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى » .

نعم هذا هو الحياء الحقيقى الذى يدعـو إليه نبى الإسلام ، وهو أن يحفظ الإنسان حواسه ، يحـفظ سمعه وبصره ولسانه ، فـلا يسمع إلى فحش أو هُجْر ، ولا ينظر إلى محرم أو شهوة ،ولا يتكلم بقبيح أو منكر ، وكذلك يحفظ بطنه فلا يدخل فيه حرامًا ، ويحفظ فـرجه ، فلا يرتكب فـاحشة ، أو يلوث شـرفًا ، ويحفظ يديه ورجليـه وسائر أعضائه وحـواسه ، فلا يمشى إلى رجس ، ولا يشهد زورًا ، ولايعـتدى على إنسان ، وهكذا يكون قد تحقق معنى الحياء ، وتخلق بذلك الخلق الكريم الطاهر ،الذى كان من خلق الرسول العظيم ، ولقد صدق عليه الصلاة والسلام حين قال :

« إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث الثانى والعشرين : حقيقة الحياء

يَروى ابنُ صَخْر عن إمام الخلقِ (١) فى صدق أمين ١
أوصَى رسُولُ الله فـى صِدْق جـمـيع المسـلمين ٢
تلـك الوصَايا خَالداتٌ ، فـى نفـوس الفَاهـمين ٣
أُولى وصَاياهُ : الحـيـاءُ ، فنِعم وصْفُ المؤمنين ٤
مِن قـوله : استَحـيـوا من المـولى حَيـاءَ الصّادقين ٥
إنّ الحـيـاءَ فَضيلةٌ فى الناس تُغـرى المادحين (٢) ٦
قـالوا له : إنّا لـنَسْتَحيى حـيـاءَ العـارفين ٧
إنا لـنَسـتـحـيى من المـولى إله الـعـالمين ٨
قـال النبىّ يجـيـبـهم ، لـكنْ بأسلوب مـبين ٩
إنّ الحـيـاءَ مِنَ الإله ، فـليس ذاكم عـن يقين ١٠
هو مـا وَعَاهُ الرأس فلتـحـفظه من فِعْلٍ مـشين ١١
والبَطـن صُنْهُ ومـا حَوَاهُ وذاك بـالحـزم المتين ١٢
ولتـذكـرنّ الموت دومًا ، لا تكن فى الغـافلين ١٣
إنّ الذى يرجـو الـنجـاة ، وكـان ذا عـقل ودين ١٤
فليـتـركنّ زَخـارفَ الدنيـا وفعْل المـاجنين ١٥
من يفـعـلنْ هذا وهذا وهو راض مـستكين ١٦
ذاك الذى اسـتـحـيـا من المولى حَيـاءَ الموقنين ١٧

---

(١) إمام الخلق : هو محمد ﷺ .

(٢) تغرى المادحين : أى أن الإنسان الموصوف بالحياء ، يبادر الناسُ بمدحه والثناء عليه .

٢٣ ـ حديث : الإسلام دين القوة

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« المؤمنُ القَوىّ (١) ، خيرٌ وأحَبّ إلى الله من المؤمنِ الضّعيف ، وفى كلِ خَيـر ، احـرِص على مـا ينفـعُك واسْتَعنْ بالله ولا تعـجـزْ (٢) ، وإن أصابك شىء فَلا تَقُل : لو أنّى فـعلت كذا ، لَكان كـذا وكذا ، ولكنْ قل : قَدّر اللهُ ومَا شَاءَ فَعل ، فإنّ لو تفتح عمل الشيطان » (٣) .

شرح الحديث

« المؤمن القوى » القـوى هنا ، ليس المراد منه قوة الجسم فـحسب ، بل إن اللفظ جاء عامًا ، ليشمل القوة بجمـيع أنواعها ، من قوة البدن ، وقوة النفس . وقوة العلم وقوة الإيمان ، وهكذا فـالمؤمن القوى فى إيمانه وفى عقـيدته وفى علمه وفى جسـمه ، خير من المؤمن الضعيف .

« وفى كل خير » التنويـن « كل » يسمى « تنوين عوض » وهو التنوين الذى يأتى عوضًا عن الاسم ، ويلحق لفظ كل ، فهذا التـنوين عوض عن قوله وفى المؤمن القوى خير ، والمؤمن الضعيف خير .

« احرص على مـا ينفعك واستـعن بالله ولا تعجز » الحـرص ، هو العناية بالشىء والاهتمـام به ، حتى لا يفـوت . . واستعن بالله ، الاسـتعانة ، طلـب العون من الله سبحانه وتعالـى ، والاعتماد عليه ، دون الاعتماد على الأسـباب أو الأشخاص ، فمن أعانه الله ، فهو المعان ، ولا تعجز بكسر الجيم على الأفصح أى لا تفرط ولا تقصر فى العمل ، بل اعتمد على الله ، مع اتخاذ الأسباب .

« كذا وكذا » أى حصل الأمر الفـلانى ، أو الشىء العلانى ، فهما كناية عن شىء

---

(١) المؤمن القوى : أى فى إيمانه ، وفى جسمه ، وفى رأيه .

(٢) ولا تعجز : أى لا تقصر ولا تفرط ، ولا تيأس .

(٣) رواه مسلم .

مبهم ، « تفتح عمل الشيطان » أى وساوس الشيطان وأوهامه التى يلقيها على الإنسان فيكون سببًا لخسرانه وهلاكه .

الشرح الأدبى :

فى هذا الحديث النبوى الكريم،دعوة إلى القوة وإلى الأخذ بأسباب العزة والنصر ، فالإسلام دين القوة ودين العزة والكرامة لا يرضى ـ بحال من الأحوال ـ أن يكون اتباعه فى ضعف وهوان ، أو ذلة واستكانة ؛ لأن المؤمن عزيز : ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ** ⑧ ﴾ [المنافقون] .

فلا يجتمع إيمان وهوان ، كما لا يجتمع النور مع الظلام ، كيف لا . . والمؤمن يعلم أن له إحدى الحسنيين : إما النصر والسعادة ، وإما الفوز بالشهادة ، وشعاره الذى يردده قول الشاعر العربى :

عش عزيزًا أو مت وأنت كريم   بين طعن القنا وخفق البنود

ولهذا فقد دعا الإسلام إلى القوة فى كثير من آيات الذكر الحكيم : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ [الأنفال : ٦٠] وضرب رسول الإنسانية مثلاً ، أروع الأمثلة فى الشجاعة والقوة ، حين فر الناس من حوله يوم حنين ، ولم يبق معه إلا نفر يسير ، فكان ﷺ وهو راكب على بغلته ، يخترق صفوف الأعداء ، متقدمًا لا متقهقرًا ، وهو يقول :

أنا النبى لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

ولا عجب أن ترى هذا التوجيه الكريم من رسول الهدى والنور ، ونبى الرحمة ﷺ يدعونا فيه إلى سلوك طريق القوة،ويفضل المؤمن القوى ، على المؤمن الضعيف ؛ لأن القوة هى طريق العزة ، وهى طريق النصر ، وليست القوة التى دعا إليها نبى الإسلام ﷺ قاصرة على قوة العضلات،أو قوة الجسم ، بل هى تشمل ضروب القوة : من قوة الجسم والعقل والعلم وقوة الخلق والدين وجميع السبل التى تقوى الإنسان جسميًا ، أو عقليًا ، أو روحيًا ، حتى يبقى المؤمن مهيب الجانب ، عزيز النفس ، مصون الكرامة ، وليس للأخذ بالأسباب ، مع اعتماده الأساسى على الله عز وجل ولو أن المسلمين أخذوا بهذا الهدى النبوى الكريم ،لعاشوا أعزة سعداء كرماء ، وليتهم يفعلون !!

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث الثالث والعشرين : الإسلام دين القوة

يَروِى الصــحـابىّ الجليل إلـى جـمـيع المـسلمين ١
عـن خَيْرِ خـلـقِ الـلـه قَال وقَولُـهُ نُصْح أمـين ٢
ربُّ السَّمــــاء يحـبُ كل الأقـــويـاء المؤمـنين ٣
هم عندهُ خَيْر وأفــضل من ضَعَف مُســتكين [1] ٤
لكـنّ فى الاثـنين [2] خـيـرًا لا تكـونوا جـاهلين ٥
فـاحـــرص على نَفْع مـع الإيمان دنيـــا ثم دين ٦
لا تعـــجــزنّ بـل اسـتَعِنْ بالـله يا نِعم المـعين ٧
إن لم تنَل مـا تبـتـغيـه ، وأخـفق السـعى الفطين ٨
لا تغضبنّ، ولا تقُل: لو أننى جئت الفعال الآخرين[3] ١٠
لأصبْتُ مما كنـت أرجـو مـثل كـل الناجـحين ١١
بل قل : بهــذا قـدر المولى برغم أنف المـنكرين ١٢
مـــا شــاءَه المولـى يكون برغـم أنف المنكـرين ١٣
مـالم يشـأْهُ فلن يكون ، لتـعلمـوا العِلم اليـقين ١٤
إذ إنّ ـ لو ـ يا صـــاح تفـتح باب إبليـس اللعين ١٥
ذاكم هو الـشـيطـان ، فلنلعنـه لعن الزاجـــرين ١٦
ذاك العـــدوّ لنـا بنص الآى فى الـذكـــر المبين ١٧

---

(١) ضعيف مستكين : أى مستسلم .
(٢) فى الاثنين خيرًا : فى المؤمن القوى والمؤمن الضعيف .
(٣) جئت الفعال الآخرين : أى لو أننى فعلت كذا ، لكان كذا !!

٢٤ ـ حديث : هلاك الأمم

عن أم المؤمنين ، زينب بنت جحش ، رضى الله تعالى عنها أن النبىّ ﷺ دخل عليها فَزِعًا يَقُول :

« ويلٌ للعرب (١) من شرّ قد اقترب ، فُتِحَ اليوم من رَدْم يأجوج ومأجوج (٢) مثل هذه » وحلّق بإصبعيه (٣) : الإبهام والتى تليها ـ فقلت : يا رسول الله ! أنهلك وفينا الصالحون ؟!

قال : « نعم إذا كثُر الخبَث (٤) » (٥) .

شرح الحديث

« فزعًا يقول : ويل للعرب من شر قد اقترب » الفزع ، الذعر والخوف منه ، قوله تعالى: ﴿ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) ﴾ [النمل] وفى الحديث الشريف الذى رواه أنس بن مالك : فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فخرجوا جهة الصوت ، فرأوا رسول الله ﷺ وهو راجع يركب بغلته وهو يقول : لن تراعوا ، لن تراعوا ، فكان الرسول ﷺ أسبقهم .

وكلمة ويل ، تستعمل للتهديد والوعيد مثل قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) ﴾ [البقرة] ، وقوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) ﴾ [المطففين] أى هلاك وعذاب لهم ، قال فى الصحاح : ويل كلمة مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب ، وقد تستعمل لإظهار الحسرة والتفجع ، كما فى الحديث هنا ، وكما فى

---

(١) ويلٌ للعرب : ويل كلمة تستعمل للتهديد والوعيد .

(٢) ردم يأجوج ومأجوج : هو الردم الذى ورد ذكره فى سورة الكهف .

(٣) وحلق بإصبعيه : أى جعلهما مثل الحلقة المستديرة .

(٤) إذا كثر الخبث : أى الزنا .

(٥) رواه البخارى ومسلم .

قوله تـعالى : ﴿ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ [الأحقـاف : ١٧] ، والعرب اسم جـمع يقابل : الفُرس والعـجم ، وأما الأعراب ، فـهم سكان البوادى ، يقابل سكان المدن ، وهم الحاضرة .

« ردم يأجوج » الردم السد العظيم ، ومـنه قـوله تعالى : ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [الكهف] أى سدًا مـتينًا ، والردم أكـبر من السـد وأوثق فهو الـسد المتين والحاجـز الحصين ، وردم يأجوج ومـأجوج ، هو السد العظيـم الذى بناه ذو القرنين ، وإلى ذلك تشـيـر الآية الكريمة : ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ [الكهف] .

ويأجوج ومـأجوج هما : التـتر والمغول ، أصلـهما من أب واحـد يسمى ـ ترك ـ وكانوا يسكنون الجزء الشمالى من آسيا ، وهم من الأمم المتوحشة .

« الخبث » أى إذا كثر الفسوق والفجـور ، هكذا فسره الجمهور ، وقيل : المراد به المعاصى مطلقًا ، وأصـل الخبث ، الشىء النجس المستـقبح ، ثم أطلق على كل فـاسد وقبيح من القول والعمل .

الشرح الأدبى :

فى هذا الحديث الشريف من دلائل النبوة ، ومظاهر الرسالة ما فيه ، فقد أشار إلى ناحية غيبية ، تقع للعرب فى المستقـبل القريب ، وقد حصل كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ حيث كثـرت الفتن والنكبات على العبر والمسلمين ، واشتـد عليهم البلاء ، وحلت بهم الكوارث وذلـك كله ناتج عن تغيـيـرهم وانحـرافـهم عن هدى الإسـلام الحنيف واستبدالهم النظم والقوانين العربية،التى هى من وضع البشر بالنظام السماوى الإلهى . . فلذلك استـحقوا عـذاب الله وانتقامـه ، وإذا كثر الشر والفـساد ، وانتشـرت المعاصى والمنكرات ، هلك الناس جميعًا ، صالحـهم وطالحهم وأحاط بهم العذاب ؛ لأنهم بهذا السكوت عن مقاومة المنكر جرؤوا الناس على اقتراف الآثام والفواحش ، وهذا ما أشار إليه هـدى الرسول العظيم ﷺ حين سـألته زينب رضى الله تعـالى عنها : أنهلك وفـينا الصالحون ؟! قال : « نعم ، إذا كثر الخبث » .

والحديث الشريف ، يصور حالة النبى ﷺ وهو يدخل بيت زوجه زينب رضى الله تعالى عنها وهـو فى حالة من الفزع ، والاضطراب تشير إليـهما علائم وجـهه الشريف

وحزنه العميق وهو يردد هذه الكلمات: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب».

فإن هذه الصورة المفزعة لتشهد بمبلغ الأسى ، والحزن الذى كان يختلج فى صدره ﷺ لما يلحق العرب من كوارث ومصائب لا تعد ولا تحصى ، وقد أشار الرسول الكريم إلى تلاحق الفتن ، وتتابع النكبات على العرب بكناية لطيفة هى ابتداء انتقاب السدّ - سد يأجوج ومأجوج - وهو السد الذى يحجز وراءه تلك الأقوام المتوحشة ، التى إن خرجت أهلكت الحرث والنسل ، فهو إذا تشبيه للفتن التى تحصل للعرب والمسلمين بالبلاء الذى يكون وراء خراب ذلك السد ، وما يتولد علـى أثر الخراب ، من أضرار فادحة ، تلحق بالناس الآمنين ، أجارنا الله من فتنة الدنيا والدين .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث الرابع والعشرين : هلاك الأمم

عن زَيـنب الفُضْلى وإحْدى أمـــهـــات المـؤمنين ١
تروى لـنَا منْ قـــول خَيْر الخـلق كـــالنور المبين ٢
قـــالت : أتانـا المصطفـى يومًا يُرى كـــالمُفْزَعين ٣
يبـــدو عَليـــه الرعْبُ حـــقًا ثم قـال لـنستَبين [١] ٤
وَيلٌ لكـلِّ العُرَبِ من شــــرّ قـــــريب عن يـقين ٥
اليـــوم فُتح الرَّدمُ [٢] عن شـر الخليـقة أجـمـعين ٦
جُزءٌ كـــبـيـــرٌ منـه يبـــدو للْعُيُون المبـــصــــرين ٧
يأجـــوجُ مع مـــأجُوج خَلف الـردم كـــانوا قَابعين ٨
لن يخــــرجـــوا إلاّ قُبـيل الحـــشْرِ حَشْر العـــالمين ٩
هم شـرّ خلق الله ، كـونـوا للمـقـالة مـدركين ١٠
قـالت : فـقلت له : أيا خـيـر الورى والمرسلين ١١
هذا الهَلاك يَتمُّ رغم وجـود بعض الصـالحين ؟! ١٢
فـورًا أجـاب عن السُّؤال ، بكـل حـزم الواثقين ١٣
إنْ يكثُر الخـــبَثُ الخـبـيثُ وزادَ فعْل الـفـاسقين ١٤
مِنْ ثم فـــانتظروا الهـــلاك ، فلن تكـونوا آمنين ١٥

---

(١) ثم قال لنستبين : لنفهم ونتبين سبب ما يبدو عليه من الفزع .
(٢) فتح الردم : هو ردم يأجوج ومأجوج .

٢٥ ـ حديث : ضياع الأمانة

عن أبى هُريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال :

بينما النبىّ ﷺ ، يُحدثُ القَوْمَ ،جَاءه أعرابىّ فقال : مَتَى الساعة [١] ؟! فمضى رسُولُ الله يُحدّث ، فقال بعض القـوم : سمع ما قال فكره ما قال وقـال بعـضُهم : بل لم يَسْمَع ، حَتى إذا قَضَى حـديثـه [٢] ، قـال : « أين السـائل عن السـاعة ؟! » قـال : ها أنا يا رسـول الله ، قَالَ : « إذا ضُيِّعت الأمـانة فـانتظر السـاعـة » ، قـال : إذا ضُيِّعت الأمـانة فـانتظر السـاعـة ، قال:وكـيف إضَاعَتُها ؟! قـال : إذا وسِّد الأمرُ إلى غـير أهله [٣] ، فانتظر الساعة » [٤] .

شرح الحديث

« بينما النبى ﷺ يحدث القوم » أى فى اللحظة التى كان يحدث فيها القوم ويعظهم والمراد بالتحـديث : الوعظ والتذكير ، فقـد كان ﷺ يعظ أصحابه ويذكـرهم بين الفينة والفينة ، ولا يكثر عليهم خشية الملل والسآمة .

« جاءه أعرابى فقـال : متى الساعة ؟! » المراد بالساعة ، القيـامة وخراب الدنيا ، وإنما سميت القيامة بالساعة ؛ لأنهـا تأتى كلمح البصر ، فى مدة زمنية قصيرة ﴿ **وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَب** ﴾ [النحل : ٧٧] .

فمضى رسول الله ﷺ : أى استمر فى حديثه ، ولم يرد على السائل تنبيهاً له إلى تعلم أدب الحديث ، وعدم مقاطعة المحدث .

---

(١) متى الساعة ؟! : المراد بالساعة ، القيامة .

(٢) قضى حديثه : انتهى من حديثه الذى يحدث به أصحابه .

(٣) وسد الأمر إلى غير أهله : أى أسند الأمر إلى غير أهله .

(٤) رواه البخارى .

« كره ما قال » كرر لفظ القول : سمع ما قال ، فكره ما قال وذلك لدفع الالتباس لئلا يوهم أن الكراهية كانت للسائل .

« إذا ضيعت الأمانة » المراد بالأمانة ،كل ما ائتمن الله عليه عباده من تكاليف شرعية ، وواجبات دينية ، وقد فسرها الحديث الشريف بإسناد الأمور إلى غير أهلها .

« إذا وسّد الأمر إلى غير أهله » أى أسند الأمر إلى غير أهله ، ووكل إلى من لا يصلح له ، كتسليم الجاهل أمور التعليم ، وتولية الخائن ووظائف الدولة ، وإسناد الشؤون العامة إلى من لا يحسن التدبير ، كالمرأة وقد قال ﷺ : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم أمرأة » . وفى الحديث الشريف : « إذا كانت أموركم إلى نسائكم ، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها » ومعنى الحديث : « أن الموت خير لكم من الحياة » .

الشرح الأدبى :

فى مدرسة النبوة وعلى يدى النبى الهادى الكريم ، والمربى الأعظم ﷺ ، تلقى أصحاب رسول الله ﷺ علومهم ونشؤوا تلك النشأة الفاضلة ، بعد أن غرفوا من بحر الكمال ، ونهلوا من معين العلم ، فكانوا نجومًا زاهرة ، وبدورًا ساطعة ، وتخرجوا من مدرسة النبوة يحملون للعالم مشاعل الهداية والنور ، ويرشدونهم إلى طريق الخير والسعادة !

من أين تخرج أصحاب رسول الله ﷺ ؟ وأين درسوا ؟ ومن أى جامعة كبيرة حملوا هذه الشهادات العالية الرفيعة ، التى أصبحوا بها أساتذة الدنيا ، وأساطين العلم والمعرفة والثقافة ؟

إنهم درسوا على يدى النبى الكريم ، وتلقوا علومهم من المصدر الأصيل الذى لا ينطق عن الهوى . . وتخرجوا من المسجد الذى كان ولا يزال أكبر مصدر للإشعاع العلمى ، وأكبر مركز للعلوم والعرفان ، فمنه تخرج العلماء والأدباء ، والأبطال والشجعان ، هذا هو رسول الله ﷺ يجمع أصحابه فى المسجد ويجلس إلى جانبهم كواحد منهم ليعظهم ويذكرهم ويرشدهم ، إلى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة ، ويدخل أعرابى فيرى رسول الله يحدث أصحابه فيقف يستمع إلى هديه الشريف ، ثم يلقى عليه سؤالا قبل آن يتم الرسول كلامه ، يسأله عن الساعة يريد أن يعرف أحوالها ، ويظهر من سؤاله أنه كان مهتمًا مشغول البال والفكر بأمر الساعة ، وأمر القيامة ، ولكن

الرسول ﷺ لم يجبه ، وظل متابعًا لحديثه ، الأمر الذى جعل بعض الصحابة ، يظنون أن الرسول الكريم لـم يسمع سؤاله والبـعض الآخر يقـول : بل سمع الرسـول سؤاله ولكنه كره أن يجيبـه لأنه لم يتم حديثه آنذاك ، ويستمر الرسـول فى حديثه ، حتى إذا انتهى منه التفت إلى أصحابه يسألهم ، « أين السائل عن الساعة !! » فيجيبه الأعرابى : ها أنذا يا رسول الله . . أى ها أنا حـاضر بين يديك اسمع كلامك وكلى انتـباه إلى ما تقول . فيجيبه ﷺ بتلك الكلمة الرائعة الجـامعة : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » وحقًا إنهـا لكلمة هادفة وحكـمة بالغة من جـوامع كلمه ﷺ ، فالأمـانة إذا ضاعت ، والمسؤولية إذا فقـدت والأمور إذا تقلدها الجهال ، وأصبحت الحـياة فوضى ، فإن ذلك أكبر برهان على قرب قيام الساعة . . وقد أحسن من قال :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

تبقى الأمور بأهل الرأى ما صلـحت فإن تولت فبالأشرار تنـقاد

فالأعـمال إذا تسلمها الأغـرار الجهال ، ومقـاليد الحكم إذا أصبحت بيـد الأشرار والفجار فسلام على الدنيا وسلام على أهلها ، ولقد صدق المصطفى الهادى البشير حين قال : « إذا كـان أمراؤكم شـراركم ، وأغنياؤكم بخـلاءكم ، وأموركم إلى نسـائكم ، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها » .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

شعر الحديث الخامس والعشرين : ضياع الأمانة

رَاوِى الحـديث أبو هُريـرة صَاحِبُ الهـادِى الأمين ١
يَروِى عن المـعْصُوم قـــولاً صـــادقًا للـعَالمين ٢
كـان النبىُّ يُحـدِّثُ الأصـحـابَ ، كـانوا سَامعين ٣
رَجُلٌ مِنَ الأعْراب جـاءَ المـصطفى كى يَســتَبِين ٤
يـا خَيـــرَ خـلـقِ اللـه أخْبِرنى بِعِلـم العَارفـين ٥
قل لى : مـتـى تأتى القـيـامـةُ يـا إمـام المتّقين ؟! ٦
ظل النـبىّ مُحـدِّثًا ، لـم يلتــفتْ للمــسْتَبِين [١] ٧
القـوم قـالوا عنه : قَد كـرِهَ الـسُّؤَال على اليـقين ٨
والبــعض قـالوا : إنه لم يــسمع الســؤال المبين ٩
بَعْد انتــهـــاء حَديثــه ســأل النبىُّ الحَاضرين ١٠
أين الذى ألقى الـسُّؤالَ وكـانَ فى المتَعـجِّلين ؟! ١١
فـأجـابه ، إنـى هنا ، يا خـيـر كـل المرسَلين ١٢
قـال النـبىّ له : فكن مِن قـــولنا فى الـواثقين ١٣
إذْ مـا الأمَانةُ [٢] ضُيِّعَت مــا بَين كـلّ المسْلمين ١٤
من ثَم فـانتـظروا القـيـامـة أمـرُ ربّ العـالمين ١٥
فأجاب ، كـيف ضياعهـا ؟! إنى مِنَ المتعجّبين !! ١٦
قـال النبـىُّ إذا تولىّ الأمْرَ بعض المـفــسـدين ١٧
تلكم عـلامـات القـيـامـة فلتكـونوا مُوقنين ١٨

---

(١) لم يلتفت للمستبين : أى لم يجب على سؤال الأعرابى واستمر فى حديثه لأصحابه .
(٢) إذ ما الأمانة ضيعت : أى إذا ضاعت الأمانة بين الناس وسادت الخيانة .

٢٦ ـ حديث : الكاسيات العاريات

عن أبى هُرَيْرةَ رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال :

« صِنفان [١] من أهل النار لم أرهما [٢] : قوم معهم سياطٌ [٣] كأذناب البقر ، يَضربون بها الناس ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ [٤] ، مائلات مميلات [٥] ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » . وفى رواية أخرى : « وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » [٦] .

شرح الحديث

« صنفان من أهل النار » أى فئتان وفريقان ، مثنى صنف بمعنى الفريق والجماعة ، وفى الأثر : « صنفان إذا صلحا صلح الناس ، وإذا فسد فسد الناس : العلماء والأمراء » .

« لم أرهما » المراد أنهما لم يكونا فى زمانه ﷺ ، وأنهما سيحدثان فى المستقبل ، وفيه معجزة للرسول الكريم ، حيث أخبر عن أمور مغيبة ، وقد وقعت كما أخبر الصادق المصدوق .

« سياط » جمع سوط ، وهو الجلد المضفور ، وهو أكثر وأشد إيلامًا من العصا وقد يراد بالسوط أنواع وضروب العذاب ، قال تعالى : ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [الفجر] .

« كاسيات عاريات » المعنى كاسيات فى الصورة ، عاريات فى الحقيقة ، لأنهن

---

(١) صنفان : مثنى صنف ، أى فئتان .

(٢) لم أرهما : أى ليسا فى هذا الزمان .

(٣) سياط : أداة للضرب أشد إيلامًا من العصا .

(٤) كاسيات عاريات : يلبسن ملابس شفافة .

(٥) مائلات مميلات : يبغين إغراء الرجال بأساليب مختلفة .

(٦) رواه مسلم .

يلبسن ملابس شفافة رقيقة لا تستر جسدًا ، ولا تخفى عورة والغرض من اللباس إنما هو الستر قال تعالى : ﴿ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ ﴾ [الأعراف : ٢٦] فإذا لم يستر اللباس ، كان صاحبه عاريًا .

« مائلات مميلات » أى يتبخترن فى مشيتهن بقصد الفتنة والإغراء ، فهن ـ مائلات ـ فى مشيتهن ـ مميلات ـ لقلوب الرجال ، بخلاعتهن ، يتصنعن الدلال ، ويتعمدن إثارة الرجال ، وهذا من عمل الفاجرات والعياذ بالله .

« كأسنمة البخت » أصل السنام : الشىء المرتفع ، وسمى القتب الذى على ظهر البعير ـ سنامًا ـ لأنه مرتفع ـ والبخت ـ الإبل والمراد أنهن يصفّفن شعورهن فوق رؤوسهن ، حتى تصبح مثل سنام الجمل ، أو تصير كأنها شاهق من الجبل .

الشرح الأدبى :

معجزة من معجزات الرسول الكريم ﷺ تظهر فى هذا الزمان ، الذى كثر فيه الفساد ، وظهرت فيه الميوعة والانحلال ، وانتشر التعرى والتكشف بين النساء باسم المدنية والتحرر ، وباسم تطور الزمان ، فلم يعد هناك وازع من دين أو وجدان ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، فالرسول الكريم وهو الصادق المصدوق يخبر عن أهل النار ، ويخص بالذكر منهم صنفين من البشر :

الصنف الأول :الظلمة الذين يعتدون على خلق الله ، وعباده بالضرب والإهانة ، والتعذيب والتنكيل ، لا عن استحقاق بل لمجرد حب التعالى والظهور ، وإشباع نفوسهم المتعطشة إلى سفك الدماء ،وتعذيب الأبرياء ـ والله تبارك وتعالى يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البروج]

ولقد صور الرسول الكريم هؤلاء الظلمة وكأنه يشاهدهم ويراهم ، وهم يعتدون على الناس . . صورهم وفى أيديهم السياط الغليظة ، التى تشبه أذناب البقر ، فى غلظها ومتانتها ، أو فى قسوتها وألمها ، وهم ينهالون على الناس ضربًا وتعذيبًا ، وتنكيلاً وتشريدًا ، لا يرحمون أحدًا لضعفه ، ولا يحترمون أحدًا لسنّه أو لجاهه ، بل هم يعتدون على الجميع بدون استثناء ، وهذا ما ظهر فى هذا الزمان وانتشر على أيدى

الزبانية ، من أعـوان الحكام الجائرين ، الذين لا يخـشون الله ، ولا يحـسبون حـسابًا لذلك الموقف الرهيب : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ﴾ [المطففين] .

أما الصنف الـثانى : فهن النسـوة الفاجـرات ، اللواتى خالفن تعـاليم الإسلام ، وآداب الدين فخلعن ملابسهن ، وكشفن الجـزء الأكبر من صدورهن ، ومواضع الفتنة من أجسـادهن ، ولبس الملابس الرقيقة التى لا تسـتر جسدًا ، ولا تخـفى عورة ، وإنما تزيد فى الفتنة والإغراء ، ومشين مشية فيها التخنث والتكسر للفت أنظار الرجال .

ولقد صور عليه أفضل الصلاة والتسليم ، هؤلاء النسوة وهن يتبخترن فى الشوارع والطرقات ، ويتـسكعن فى الأسواق والمنتديات ، ليس لهن عمل إلا الإغـراء للرجال ، وإفسـاد الشباب والمراهقين ، صـورهن بصورة من تتعـمد إثارة الفتنة وإغـراء الرجال ، حتى ليخـيل إلى الناظر أنها ـ بهذه المشيـة الخليعة ـ تدعوه إلى نفـسها وتراوده من أجل عمل الفاحشة بها ، وهذا هو معنى قوله ﷺ : « مائلات مميلات » أى أنهن مائلات فى مشيتهن ، مميلات لقلوب الرجال ، يقـصدن إثارة الشهوة فى قلوبهم ، ثم عدد الرسول الكريم من قبائحهن بأنهن يصففن شعورهـن ، حتى يصير شعر الواحدة منهن مثل سنام الجمل فى الارتـفاع وقد وضـعت عليه أنواع الزينة ، وصـبغـته بأنواع من الأصـباغ ، وكدسته فوق رأسها . . وقد خـتم عليه الصلاة والسلام هذا الحديث ، بما يفزع له قلب الإنسان فقـال : « لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها » وأى عـذاب أشد ، من أن يحرم الإنسان الجنة ونعـيمهـا ، وألا يـجد ريحها ، وإن ريحها يوجد من مسيـرة خمسمائة عام . . اللهم عافنا واعف عنا واحفظنا .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث السادس والعشرين : الكاسيات العاريات

يروى الـصَّحـــــابىُّ الجليـلُ أبو هريـرة فى يـقين ١
من قَوْلِ خيَـــر الخلقِ مــثل النّور يَهـــدى التّائهين ٢
صنفــان لم أرَ منهــمـا أحَدًا فليـســوا ظاهرين (١) ٣
النار ســـوف تكون مــثـواهم فليـســوا مُفلحين ٤
صنـفٌ له بـاعٌ طويـل فى الأذى لـلآخـــــريـن ٥
مـعـهم سيـاط يضـربون الـناس ضَرْبَ البـاطشين ٦
قـــومٌ طغـاةٌ لا تـرى فـيــهم صــفـات المـؤمنين ٧
هذا هو الوصف الصـحـيـح عن الرجـال الظالمين ٨
أمـــا الـنســـاء فَقَوْلـنا عنهـنّ قـــول الصــــادقين ٩
منــهن نوعٌ مُفْسِداتٌ ؛ فـى ذوى عـــقـل ودين ١٠
الكاســــيـات العـاريـات ، جنود إبليس الـلعين ١١
المائلات إلـى المجـــون بكـل فـعلٍ قـــد يُشين ١٢
لا يدخـلنّ لجـنة الـرضـــــوان بين الـداخلـين ١٣
بل لا يجـدن أريجـهـا (٣) الفوّاح للمـتـشـوقين ١٤
تالـله إن أريجــــهــــا يســـرى لآلاف الســنين ١٥
هذا قـــرار صــــادر من أمــــر ربّ العــــالمين ١٦

---

(١) فليسوا ظاهرين : مثنى ، لكن ليس الاثنين فحسب ، بل لجميع الذين ينطبق عليهم الوصف من الصنفين .
(٢) مثواهم : أى مكانهم الدائم .
(٣) أريجها : الرائحة الطيبة المنبعثة منها .

٢٧ ـ حديث : احتجاج آدم وموسى

« احتجّ آدمُ ومُوسَى [١] ، عند ربهما فحجّ آدَم مُوسَى [٢]،قال مُوسى : أنت آدم الـذى خلقك الـله بيَدَه ، ونفخَ فـيك مـن روحه ، وأسْجَدَ لكَ ملائكته ، وأسكنك فى جنته ، ثم أهبطت الناسَ بخطيئتك إِلَى الأرض ؟!

فقال آدم : أنت مُوسَى الذى اصْطَفَاك اللهُ برسَالَته وبكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شىء ، وقربك نجيًا ؟!

فبكم وجَدتَ الله كتبَ التّوراة قبل أن أخلق ؟!

قال موسى : بأربعين عامًا ، قال آدم : فهل وجَدْت فيها : « وعصى آدم ربّه فَغَوى ؟! » قال : نعم . قال : أفتلومنى على أن عـملتُ عملاً كتَبه اللهُ علىّ قبل أن يخلقنى بأربعين سنة ؟! » .

قالَ رسُولُ الله ﷺ : « فحج آدم مُوسَى » [٣] .

شرح الحديث

« احتـج آدم وموسى » أى تحـاجج ، وفى رواية أنه أراد أن ذلك يقع منهمـا يوم القيـامة . . وفى رواية قـال موسى : يا رب أرنا آدم الذى أخـرجنا ونفسـه من الجنة ، فأراه الله آدم فقال : أنت أبونا ؟! » الحديث . . . إلخ .

« أنت الذى أخرجت الناس من الجنة بذنبك ؟! وفى رواية البخارى هذه ، « أنت الذى خـلقك الله بـيده ، وأسـجـد لك ملائكتـه ، ثم أهبطت الناس بخـطيئـتك إلى الأرض ؟ ! » .

---

(١) احتج آدم وموسى : أى تحاورًا وتجادلاً .

(٢) فحج آدم موسى : غلبه بالحجة .

(٣) فتح البارى ١١ / ٥١٢ .

فقال آدم : « أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شىء ، وقربك نجيًا ؟! » .

هكذا ترى أن آدم عليه السلام ، لم يجب على سؤال موسى عليه السلام ، إجابة مباشرة ، بل كانت الإجابة سؤالاً موجها إلى موسى وهذه طريقة فى المحاجة ، تدل على رجاحة العقل الذى سئل .

فقال آدم :« أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه ،وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شىء وقربك نجيًا ؟! » .

إن آدم يسأل موسى هذا السؤال ، ليقرره بأمر قد غفل عنه ، أو بمعنى أدق تعبيراً ، ليجعله يجيب على سؤاله بنفسه .

لا يزال سؤال آدم متواصلاً فقال:«فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟! قال موسى: بأربعين عامًا ، قال آدم : فهل وجدت فيها : « وعصى آدم ربه فغوى ؟! » قال : نعم ، قال ـ أى آدم ـ أفتلومنى على أن عملت عملاً كتبه الله علىّ قبل أن يخلقنى بأربعين سنة ؟! ثم قال رسول الله ﷺ : فحج آدم موسى . ومعنى حجه ، غلبه بالحجة ، يقال حاججت فلانًا فحججته مثل خاصمته فخصمته .

قال ابن عبد البر : هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق ، فى إثبات القدر ، وأن الله عز وجل قضى أعمال العباد ، فكل أحد يصير إلى ما قدر له بما سبق فى علم الله عز وجل .

قال : وليس فيه حجة للجبرية ، وإن كان فى بادئ الرأى يساعدهم ، وقال الخطابى فى معالم السنن : يحسب كثير من الناس ، أن معنى القضاء والقدر ، يستلزم الجبر وقهر العبد ، ويتوهم أن غلبة آدم كانت من هذا الوجه ، وليس كذلك ، وإنما معناه الإخبار عن إثبات علم الله ، بما يكون من أفعال العباد ، وصدورها عن تقدير سابق منه .

فإن القدر اسم لما صدر عن فعل القادر ، وإذا كان كذلك فقد نفى عنهم من وراء علم الله أفعالهم وأكسابهم ، ومباشرتهم تلك الأمور ، عن قصد وتعمد واختيار ، فالحجة إنما نلزمهم بها ، واللائمة إنما تتوجه عليهم ، وجماع القول فى ذلك ، أنها

أمران لا يبدل أحدهما عن الآخر .

أحدهما بمنزلة الأساس ، والآخر بمنزلة البناء ونقـضه ، وإنما جهة حجة آدم أن الله علم منهم أنـه يتناول من الشـجـرة ، فكيف يمكنه أن يـرد علم الله فـيـه ، وإنما خلق للأرض وأنه لا يترك فى الجنة ، بل ينقل منها إلى الأرض ، فكان تناوله من الشجرة ، سببًا لإهباطه ، واستخلافه فى الأرض ، كما قال تعالى قبل خلقه :

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] قال : فلما لامه مـوسى عن نفسه قال له : أتلومنى على أمر قدره الله علىّ؟! فاللوم عليه من قبلك ساقط عنى ، إذ ليس لأحد أن يعيـر أحدًا بذنب كان منه ؛ لأن الخلق كلهم تحت العبودية سـواء ، وإنما يتجه اللوم من قبل الله سبحانه وتعالى ، إذا كان نهـاه ، فباشر ما نهاه عنه ، وقول موسى ، وإن كان فى النفس منه شبـهة ، وفى ظاهره تعلق لاحتجاجـه بالسبب ، لكن تعلق آدم بالقدر ، أرجح فلهذا غلبه .

والغلبة تقع مع المعارضة ، كما تقع مع البرهان .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه أجمعين .

شعر الحديث السابع والعشرين : احتجاج آدم وموسى

من قَوْل خَيـر الخَلق ذَاكَ المصْطفى الهـادى الأمين ١
يحـكى لِقَاءً تمّ بـين اثنـين فى المتـــقــــدمين ٢
كَانَ اللقــاءُ تحــاورًا ، إذ فـيــه لومُ الـعـــاتبين ٣
أى بَين آدَمَ والكـليـم أمـــــام ربّ العــــالمـين ٤
لكـنّ آدم حَجّ مُوسَى ، كـــــان ذا قـــول مُبين ٥
مُوسَى تَسَاءَل ، أنتَ آدمُ ،أصْلُ كل الآدمين [١] ؟! ٦
أعطـاك ربى فَضْلهُ ، سَوَاك مـن مـــاءٍ وطين ؟! ٧
أمــــرَ الملائـكة الكرام لـيَسْجُدوا لك طائـعين ؟! ٨
أيضًا وفى رَوضِ الجنان ، غَدوْت بين الخـالدين ؟! ٩
أنزلتـنا بخطيــــئـــة للأرض ، كنا نـاعـــمين ؟! ١٠
لكـنّ آدم قـــد أجَابَ بِفطنـةِ المتـــحــــاورين ١١
متسَائلاً ، هل أنت موسى ،فى عداد المرسَلين ؟! ١٢
فُضلت بالـتكليم دُون الخَلق طـرًا أجـمـــعين ؟! ١٣
أعطيتَ ألـواحًا وفـيـهـــا النور يهـدى التـــائهين ١٤
ويضــــيـف آدم ســـائلاً مُوسى سُؤال المسْتـــبين ١٥
يا صـاح فى التـوراة عندك بغـية المتســائلين [٢] ١٦
هذا الكـتـــابُ مُدَوّنٌ من قـــبل خَلْقِى عـن يقين ١٧
مُوسى يَقول : قُبيلَ خلقـك بضع عشرات السّنين ١٨
فيقـول آدمُ : قد صَدَقتَ ، ولم أزل فى السائلين ١٩
أفـهل وجَدتَ خطيئـتى فى ذلك السّفـر المتين ؟! ٢٠

---

(١) أصل كل الآدمين : آدم هو أبو البشر .
(٢) بغية المتسائلين : أى الجواب عن سؤالك .

موسى يقول : وجَدْتها ، إنى إذًا فى الشاهدين ٢١

فيقول آدم : يا بنى فلا تكن فى اللائمين ٢٢

أتلومُنِى فيما قضاهُ علىّ ربّ العَالمين ؟! ٢٣

مِن قبل إيجادى ، فهذا منطق القَدَر المبين ٢٤

من ثَم قال محمدٌ كى نعلم العلم اليقين ٢٥

لكنّ آدم حجّ مُوسَى ، منطقُ المتوكلين ٢٦

٢٨ ـ حديث : الأخلاق ميزان الأمم

عن جابر بن عبد الله رضىَ الله تعالى عنه ، أنّ رسُولَ الله ﷺ قال :

« إن من أحبّكم إلىّ ، وأقربكم منّى مجلسًا يوم القيامة ، أحَاسنكُم أخلاقًا ، وإن من أبغَضكم إلىّ ، وأبعدكم منى مجلسًا يوم القيامة ، الثّرثَارُون (١) ، والمتَشدّقُون (٢) والمتَفَيهقُون (٣) » ، قالوا : يا رَسُولَ الله ! فما المتشدقون ؟! قال ﷺ :« المتكبرون » (٤) .

شرح الحديث

« إن من أحبكم إلى » أى أن رسول الله ﷺ يحب كثيرًا من أنواع الناس ، ومن ذوى الصفات المتعددة ، منهم : أى القريبون من مجلسه يوم القيامة ، هم ذوو الأخلاق الحسنة ، الذين يتخلقون بأخلاق الدين الإسلامى . . من حيث التواضع والحلم والإحسان إلى الآخرين ، ولو بالكلمة الطيبة .

« وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقًا » لا غرو أن ذوى الأخلاق الحسنة ، بين الناس قدوة لغيرهم ، يسعون بين الناس بالخير ، ولا يتكلمون إلا فى الخير ، ويحبون الخير لكل الناس .

لذلك لا تجد أحدًا من الناس يبغضهم . . وكيف يبغضهم الناس ، وهم المقربون من رسول الله ﷺ وممن سوف يكونون قريبين من مجلسه يوم القيامة ، هذا فضلاً عن حبه ﷺ لهم .

« وإن من أبغضكم إلى » كما أن رسول الله يحب فهو ﷺ يكره . . وممن يكرههم

---

(١) الثرثارون : جمع ثرثار ، وهو الشخص الذى يكثر الكلام بغير فائدة .

(٢) المتشدقون : جمع متشدق ، وهو الذى يتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بملء فمه تفاصحًا وتفاخرًا .

(٣) المتفيهقون : مأخوذ من الفهق ، وهو الامتلاء .

(٤) رواه الترمذى .

رسول الله ويبغضهم ، وهم كثيرون ، وأنواع متعددة ، منهم : أى البعيدون من مجلس رسول الله ﷺ يوم القيامة ،هم ذوو الأخلاق السيئة،فى أقوالهم ، وأفعالهم ، وفى معاملاتهم مع الآخرين ، الكل يبغضهم فهم أبعد الناس عن الخير .

« وأبعدكم منى مجلسًا يوم القيامة : الثرثارون والمتشدقون ، والمتفيهقون » والمتشدق هو الذى يتطاول على الناس ، وأصل التشدق مأخوذ من ملء الشدق ، وقد جاء فى لسان العرب : الشدق جانب الفم ، والمتشدق الذى يلوى شدقه للتفصح . والمتفيهق قال الأصمعى : المتفيهق هو الذى يتوسع فى كلامه ويفهق ـ أى يملأ ـ به فمه قال الأعشى:

تروح على آل المحلق جفنة   كجابية الشيخ العراقى تفهق

وقد فسره ﷺ بأنه المتكبر ، لأن المتكبر يتبجح بكلامه ، ويشمخ بأنفه استعلاء على الناس وتكبرًا ، فناسبه الوصف .

الشرح الأدبى :

بهذه الصورة الجميلة الرائعة ، يضع الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، حجر الزاوية فى بناء الشخصية الإسلامية المثالية ، وبناء المجتمع المسلم ، القائم على الفضيلة المشيد بدعائم التقى والصلاح ، ففى هذا الهدى النبوى الشريف ، يبين الرسول ﷺ منزلة ـ الأخلاق والتربية ـ فى الإسلام ، ومكانة المؤمن المتخلق بهذه الأخلاق الكريمة ، التي هى من أهم مقاصد الإسلام ، فالأخلاق سياج الأمم ، وميزان تقدمها ورقيها ، وعنوان عظمتها وخلودها . . فالأمم لا تحيا بدون أخلاق ، ولا تعيش بغير أدب ، ولله در أمير الشعراء شوقى حيث قال :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه   فقوم النفس بالأخلاق تستقم

وقال أيضًا :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ورسولنا ﷺ ضرب أروع الأمثلة فى الخلق الرفيع ، والاستقامة على أمر الله عز وجل ، حتى أثنى عليه مولاه بقوله :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم] وكفى بهذا الثناء والمديح رفعة وعزة وسموًا

وجلالاً لنبى الهدى ورسول الأخلاق !!

ولقد وضح عليه الصلاة والسلام ـ بهذه الكلمات الروائع ـ قيمة الأخلاق ، ورفع مكانة أهلها المتخلقين بحميد الخصال ، الذين رسخت فيهم معانى الفضل والنبل ، والأدب الرفيع، حتى أصبحت سجية من سجاياهم ،وأشاد بفضلهم صلوات الله عليه ، حين جعلهم أحب الناس عنده ، وأقربهم مكانة لديه فقال :

« إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا » فليست الأخلاق سبب السعادة فى الدنيا فحسب ، بل هى أساس السعادة ، وأصل العزة فى الدنيا والآخرة ، وكفى بجوار الرسول الكريم ، فى دار الخلد ، والنعيم شرفًا وعلوًا لصاحب الخُلق الرفيع ، حيث ينال درجة عالية ، يغبطه عليها كثير من الناس ، يوم يكون مجلسه إلى جانب مجلس الرسل الكرام ، والصديقين والشهداء والصالحين فهل بعد هذا عز وشرف يدانيه أو يضاهيه ؟!

ثم ينتقل الرسول ﷺ ، فيبين فى هديه الشريف ، منزلة الفريق الثانى أولئك الذين تجردوا من الفضيلة، وتعروا عن حميد الخصال ، وحسبهم خسارة أن يكونوا بغيضين إلى رسول الله ، بعيدين عن مجلس الأنس والسعادة ، فى جواره ﷺ وجوار أولياء الله ، من النبيين والشهداء والصالحين .

فما أعظم خسارة أولئك وما أشد ندامتهم ؟!

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى .

شعر الحديث الثامن والعشرين : الأخلاق ميزان الأمم

هذَا ابنُ عـبـدِ الله جـابرُ من خيـار المسلمين ١
يَروى عنِ الهـادى مـقـالاً ، نعْم خـيـر القـائلين ٢
قـال الـنبـىّ لنـا ، وقَد كنـا جُلوسًا سَامعـين ٣
هل تَعلَمـون أحـبكم لى ، يوم حَشـر العـالمين ؟! ٤
أيضًا ، وأقـربكـم هناك لمجلسى ، هـذا يقين ؟! ٥
ذاك الذى يمتـاز بالخُلـقُ الرفـيـع المسـتكين (١) ٦
أيضًا ، وأبغـضكـم إلىّ ، ولم يكن فى المـؤمنين ٧
ذاكم هُوَ الثـرثارُ دومًا قـوله فى المبـطلين (٢) ٨
ونَظيـرُه المتشـدق المـأفـون فـى المتطـاولين ٩
لكنّ أسـوأهم هو المتـفـيـهق الوغـدُ اللعين ١٠
قـالوا : فـمن مُتَفَيـهـقٌ يا خَيـرَ كلّ المرسَلين ؟! ١١
قـال الـنبىّ : فـذلـكم خَصَمٌ لِربّ العـالمين ١٢
أعـرفتـمـوه ؟! فـإنه الموصـوف بـالكبـر المشين ١٣
الكبـرُ من شـرّ الصـفـات فـبئس لـلمـتكبـرين ١٤
الكبـرياء رِدَاءُ (٣) ربّ العـرش كـونُوا مُوقنين ١٥
من يتّصف بـالكِبْر يَوم الحـشـر بـين الهـالكين ١٦

---

(١) الرفيع المستكين : ذو الهمة العالية ، وفى الوقت نفسه متواضع .
(٢) فى المبطلين : أى كثير الكلام فى غير فائدة .
(٣) رداء رب العرش : مأخوذ من الحديث القدسى : « الكبرياء ردائى والعظمة إزارى » .

٢٩ ـ حديث : المعركة الفاصلة

عن أبى هُريرةَ رضَى اللهُ تعالى عنه ، عن النبى ﷺ أنَّهُ قال :

« لا تقُومُ السَّاعــةُ (١) حتَّى يقَاتِل المسـلمُونَ اليـهُودَ (٢) ، فيـقتُلهُم المسلمُون (٣) حتّى يختـبئ اليـهودىُّ وراءَ الحَجَر والشَّجَر ، فيـقولُ الحَجَرُ والشَّجَرُ (٤) : يا مُسْلم ! يا عـبْدَ اللّه ! هذا يهـودىٌّ خَلفى ، تعَالَ فاقـتُلهُ ، إلا الغَرْقد فإنَّهُ منْ شَجَرِ اليهُودِ » (٥) .

شرح الحديث

« لا تقوم الساعة » أى لا تنتهى الدنيا ولا تقوم القيامة ، حتى تقع الحرب العظيمة بين المسلمين واليهـود ، وهذا من أمور الغيب التى أخبـر عنها الصادق المصدوق محمد ﷺ .

« يقاتل المسلمون الـيهود » فيه إشـارة بأن الحرب ستكون دينية مقـدسة ، لا حربًا قوميـة أو وطنية لأن تخصيص المسلمين بقتـالهم ، يدل على أن هذه الحرب ستكون بين أصحاب العقيدة الحقة من المؤمنين ، وبين اليهود الضالين ، وسيكون النصر حليف الفئة المؤمنة ، فالرسول ﷺ ،لم يقل:حتى يقاتل العرب اليهود ، وإنما وضح بأن الحرب تقع بين المسلمين واليهود ، وأن الله عز وجل سيكرم عباده المؤمنين بالنصر على عدوهم .

« فيـقول الحجر »: أى ينطق الله عـز وجل الحجر الذى وراءه اليـهودى ، وينطق

---

(١) لا تقوم الساعة : لا تنتهى الدنيا ، ولا تقوم القيامة ، حتى تقع الحرب العظيمة بين المسلمين واليهود ، وهذا من أمور الغيب التى أخبر عنها الصادق المصدوق .

(٢) حتى يقاتل المسلمون اليهـود : فيه إشارة إلى أن الحرب ستكون دينية وليست حربًا سيـاسية ؛ لأن تخصيص المسلمين بقتالهم يدل على أن هذه الحرب ستكون بين أصحاب العقيدة من المؤمنين وبين اليهود الضالين .

(٣) فيقتلهم المسلمون : وسيكون النصر حليف الفئة المؤمنة .

(٤) فيقول الحجر والشجر : أى ينطق الحجر والشجر بأمر الله ، وهذه كرامة من الله تعالى لعباده المؤمنين .

(٥) رواه مسلم .

الشجر الذى اختبأ خلفه ، وذلك كرامة من الله تعالى لعباده المؤمنين المجاهدين ، وكلام الحجر أو الشجر ، آية من آيات الله الباهرة ، وهو حقيقة لا مجاز ، والله على كل شيء قدير .

« الغرقد » شجر له شوك عظيم ، يكثر فى أرض فلسطين ، وهو من الأشجار الخبيثة التى تشبه اليهود فى خبثهم ، وصفاتهم الذميمة ولهذا قال ﷺ : « فإنه من شجر اليهود » .

الشرح الأدبى :

فى هذه الآونة الحرجة من حياة العرب والمسلمين ، بعد أن استولى شذاذ الآفاق ، على جزء كبير من فلسطين ، واحتلوا أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، وعاثوا فى الأرض فسادًا ، وبعد أن شعر المسلمون بفداحة الكارثة وعظيم المصيبة ، وتجرعوا كؤوس الحسرة والأسى ، وذاقوا طعم الذل والهوان . . بعد هذا تأتى بشائر النصر ، ومواكب الخير والنور ، تبشر بعودة الديار السليبة التى اغتصبها الصهاينة المجرمون ، وبانتصار الحق المهان ، وعودته إلى أصحابه ـ أصحاب العقيدة الراسخة ـ من المجاهدين المسلمين الذى لا يريدون علوًا فى الأرض ولا فسادًا .

إنها لبشارة عظيمة من نبى صادق عظيم ، تأتى فى هذه الفترة العصيبة ، التى تكاد تأخذ بالخناق ، والتى يشعر فيها كل مسلم بالأسى يعتصر قلبه ، والحزن يحيط به من كل جانب فلا يستطيع أن يتنفس ، ولا يستطيع أن يبتسم ، ومن حوله إخوة له فى العقيدة والدين مشردون ، وفى هذه الآونة العصيبة تأتى بشارة الرسول ﷺ ، بأن الدنيا لا يمكن أن تزول ، حتى تقع المعركة الفاصلة بين المسلمين واليهود ، التى ينتصر فيها جند الله ، على جند الشيطان ، وتكون فيها الغلبة لعباد الله المؤمنين تصديقًا لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) ﴾ [الصافات] وقوله جل ثناؤه : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) ﴾ [الروم] وإذا كانت فلسطين قد ضاعت ، وإذا كانت القدس قد ذهبت ، بسبب تآمر أعداء الإسلام عليها ، وتعاون بعض الخونة معهم ، مما أدى إلى ضياع فلسطين ، وذهاب المسجد الأقصى ، فإن الرسول ﷺ ليبشرنا هنا فى هذا الحديث الشريف ، بأن المعركة لم تنته بعد ، وأن النهاية ستكون بانتصار الإسلام والمسلمين ، وستظهر بعض العجائب والأمور الخارقة ، فى ذلك الحين ، حيث يتكلم الجماد ،

وينطق الشجر والحجر فيقول :

يا مسلم يا عبد الله ، هذا يهودى ورائى تعال فاقتله ، إلا ذلك الشجر الخبيث الذى يشبه اليهود فى خبثهم ولؤمهم ، ألا وهو شجر الغرقد ، فإنه لا ينطق إذا اختفى وراءه أحد من اليهود .

وهنا نقطة هامة ينبغى التنبه لها . . وهى أننا ما خسرنا المعركة ، ولا أضعنا فلسطين إلا حينما دخلنا المعركة بغير عقيدة ، وقاتلنا تحت شعار العصبية الجاهلية وتركنا شعار الدين .

ومن ثم فإننا لن نستعيد فلسطين ، إلا بالإيمان الصافى ، والعقيدة الصادقة والانضواء تحت راية الإسلام وراية الدين ، فهذا هو الذى سيحقق لنا النصر بمشيئة الله عز وجل ،وهذا هو الذى أشار إليه الحديث الشريف ، فذكر كلمة المسلمين وتكرارها ، يدل على أن النصر سيكون لأصحاب العقيدة الحقة ، لأولئك الذين جعلوا إعلاء كلمة الله نصب أعينهم ، والجهاد فى سبيله هو غايتهم وهدفهم ، لا تلك الدعوات البراقة التى ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ، ولا تلك الشعارات المزيفة التى كانت سببًا فى نكبتنا وخسارتنا ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وصل الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم (١) .

---

(١) من كنوز السنة : للشيخ الصابونى .

شعر الحديث التاسع والعشرين : المعركة الفاصلة

رَاوِى الحـديثِ أبو هُريـرة صَاحِبُ الهـادِى الأمين ١
يَروى حـديثًا صـادقًا مِنْ قـول خـيـرِ المرسَلين ٢
هذا الحـديثُ عن الحـوادثِ فـى القُرون القـادمين ٣
أخبـارُ خـير الخـلقِ عن تلك الحـوادثِ عن يقين ٤
فلنسـتـمعْ مـا قـالـهُ ، كى نسـتنيـر ونستَبين ٥
قبـلَ القيامـة أن تقومَ ببـعض أحقـاب السِّنين [١] ٦
يجـرى قـتـالٌ فـيـه إهلاكٌ لجنسِ المفسدين ٧
سـيكـونُ بينَ المسلـمينَ معَ اليـهـودِ المجْرمين ٨
ولسـوفَ ينهـزمُ اليـهـودُ أمَامَ جـيْشِ المسْلمين ٩
هذى اليـهـودُ غـدَوْا فُلـولا فى البـرارى هَاربين ١٠
إن يختـبئْ أحَدُ اليـهـودِ وراءَ حَجَرٍ مُسْتكين ١١
أو خلفَ شـجَرٍ قـدْ تَوارَى عن عُيُـون البـاحثين ١٢
لا تعـجـبُوا من قـدرة المـولى إله العـالمين ١٣
قـد أنطقَ الأشـجَارَ والأحـجَارَ بالقـولِ المبين ١٤
فـتـقـولُ فى قـول فـصـيحٍ واضحٍ لـلسَّامـعين ١٥
هذا يهـودى راقـدٌ خلفى رقـودَ المختـفين ١٦
هيـا تعـالوْا قـاقـتلوهُ ولا تـكونُوا راحمين ١٧
إلا شُجَيْر الغـرقدِ [٢] المنكود شـجَرَ الفاسِقين [٣] ١٨

---

(١) أحقاب السنين : الحُقُب ، ثمانون سنة .

(٢) شجير الغرقد : شجرة الغرقد تنبت فى الصحراء ذات شوك .

(٣) شجـر الفاسقـين : شجر الغـرقد ، قال عنهـا رسول الله ﷺ : « من شـجر اليهـود » لذلك لم تناد على المسلمين كبقية الأشجار .

٣٠ ـ حديث : من معجزات النبوة

عن ثَوْبَان رضى الله تعالى عنه أنَّ رسول الله ﷺ أنه قال :

« إنَّ اللهَ زَوَى لىَ الأرضَ (١) ، فرأيتُ مشَارقَها ومغاربَها ، وإنَّ مُلْكَ أمَّتى ، سيبلغُ ما زَوَى لى منْهَا ، وأعطيتُ الكنزَيْن : الأحمرَ والأبيضَ ، وإنى سألتُ ربِّى لأُمَّتى ، ألاَ يُهْلكَهُمْ بَسَنَة عامَّة (٢) ، وألا يُسَلِّطَ عليهم عدُوًا منْ سوَى أنفُسهم ، فيَستبيح بيَضتَهُمْ (٣) ، وإنَّ ربِّى قال لى : يا محَمَّدُ ! إنى إذَا قضَيْتُ قضَاءً فإنَّهُ لا يُرَدُّ ، وإنى أعطيْتُكَ لأمَّتكَ ألا أهلكهُم بسنَة عامَّة ، وألا أسلطَ عليهمْ عدُوًا من سوى أنفُسهمْ فيستبيحَ بيضتَهُمْ ، ولَو اجْتمعَ عليهم مَنْ بأقطارهَا ، حتى يكونَ بعضُهُمْ يهلكُ بعضًا ، ويَسْبى بعضُهُمْ بعضًا » (٤) .

شرح الحديث

« إن الله زوى لى الأرض » أى جمع الأرض وطواها ، حتى أصبحت مرئية أمامه كالبساط المفروش ، يحيط بصره بها ، وفى ذلك بشارة من الله عز وجل لرسوله ﷺ بانتصار الإسلام وفتح البلدان ، حتى يعم أطراف المعمورة .

« فرأيت مشارقها ومغاربها » مشرق ومغرب ، وهو مكان شروقها ومكان غروبها . . وإنما جمعت باعتبار أن لكل بلد مشرقًا ومغربًا ، أو باعتبار طلوعها وغروبها فى الشتاء والصيف .

---

(١) زوى لى الأرض : أى جمع الأرض وطواها ، فصار البعيد قريبًا يراه أمامه .

(٢) بسنة عامة : أى بقحط وجدب يهلك عامة المسلمين جوعًا ، وذلك بأن تمسك السماء عن المطر فلا تنبت الأرض شيئًا .

(٣) فيستبيح بيضتهم : أى يستأصلهم بالإهلاك ، فلا يبقى منهم أحد ، وبيضة الشىء أكثره ومعظمه .

(٤) رواه مسلم .

« وأعطيت الكنزين » المراد بهما الذهب والفضة ، لأنهما العملة المستعملة فى كل زمان ، والكنز هو : ما يكنزه الإنسان ويدخره من الأموال ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ... ﴾ الآية [التوبة : ٣٤] .

« ألا يهلكهم بسنة عامة » أى بقحط وجدب يهلك عامة المسلمين ، وذلك بأن تمسك السماء عن المطر ، فلا تنبت الأرض شيئًا ، وتطلق السنة والسنون على ـ القحط والجدب ـ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣٠] وفى الحديث الشريف : « اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف » .

« فيستبيح بيضتهم » أى يستأصلهم بالإهلاك ، فلا يبقى منهم أحدًا ، وبيضة الشيء أكثره ومعظمه ، ومعنى الحديث ، لايسلط عليهم عدوهم فيفنيهم ويستأصلهم من الوجود .

« ويسبى بعضهم بعضًا » يقال : سباه إذا استرقه ، والمعنى : يسترق المسلم أخاه المسلم ، فيجعله كالرقيق عنده .

الشرح الأدبى :

مع هذه الباقة الجميلة من هدى سيد المرسلين ، ومع الغرر والدرر التى نطق بها رسول الله ﷺ الأمى ، ومن معجزاته الخالدات التى أخبر عنها تأتى البشائر تتلوها مواكب النصر ، لهذا الدين العظيم فالرسول صلوات الله وسلامه عليه ، يبشر أمته بأن الله عز وجل سيفتح عليهم البلاد وبأن دينه سينتشر فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأن أمته ستملك أكثر المعمورة ،ويدخل الناس فى دين الله أفواجًا ، وأكرم بهذه البشارة العظيمة التى بشر بها رسول الله أمته ، فما هذه الخيرات ، وما هذه الفضائل إلا من فيض هذا الدين العظيم . . لقد أكرم الله هذه الأمة فجعلها خير الأمم ، وجعل دينها خير الأديان ، وأنزل عليها أشرف كتاب . . . قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

ولقد تحققت بشارة الرسول ﷺ فملك المسلمون مشارق الأرض ومغاربها ،ودخل الناس فى دين الله أفواجًا ، ففتحوا البلاد وسادوا العباد وأوصلوا هذا النور الإلهى إلى آفاق العالم ، يحملون راية الحق ، ويرفعون لواء العدالة ، ويرشدون العالم إلى سواء

السـبيل ، وبصـدق هؤلاء المسلمين وبإخـلاصهم لله ورسـوله ،وبجهـادهم وصبـرهم وتضحـيتهم ، كان النصـر لدعوة الإسلام ، وكان الفـتح والعزة والسيـادة للمسلمين ، وبلغت فتوحـاتهم الذروة ، حينما قوضـوا عرشى أكبر إمبـراطوريتين آنذاك هما : دولة الفرس ودولة الروم فقد كانتا تتقاسمان زعـامة العالم ، وبالقضاء عليهما ،حل الإسلام فى ربوعهما ،وتحقق قول الرسول الأعظم :

« وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض » وما هذان الكنزان الـثمينان إلا رمز وإشارة إلى أن تملك أمة محمد ﷺ لهاتين الدولتين ولأمـلاكهما ، حيث كان الذهب هو العملة السائدة فى بلاد الروم ، والفضة هى العـملة السائدة فى بلاد الفرس . . أفليس فى هذا معجزة لمحـمد ﷺ الذى أخبر وبشر بأن أمته ستـملك أقاصى الدنيا ، وأن أعظم الدول ستدخل فى دين الله أفواجًا ؟!

وبعد ذلك توجهت رأفة النبى ﷺ ورحمته بأمته ، إلى أن يطلب من ربه أن يحفظ المسلمين من عدوهم ، فدعا لهم بدعوتين عظيمـتين كريمتين ، وأكرم بهما من دعوتين !! دعا لهم ألا يسلط عليهم عدوًا من غيرهم فيهلكهم ، ويستأصل شأفتهم ، ويجعلهم أثرًا بعد عين ، كما دعا ربه ألا تهلك أمته بالقحط والجدب كما أهلك بعض الأمم .

هذه الدعوات إن دلت على شىء فإنما تدل على كمال شفقته ﷺ على أمته ورحمته بهم ، وقد اسـتجاب الله دعـاءه ، فمنع عنهم الهـلاك والدمار بتسليط الأعـداء وبسبب القحط والجدب ، ولكن صيـحة الفناء ستأتيهم من أنفسهم حيث يقـتل بعضهم بعضًا ، ويسبى بعضهم بعضًا وهذا ما ظهرت آثاره وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

شعر الحديث الثلاثين : من معجزات النبوة

ثوبَان صـــاحبُ خـيـــر خلقِ الله خـــادمُه الأمين ١
يروى عن الهـــادى حـــديثًا فـيـــه إشـراقٌ مـــبين ٢
قـــال النبىُّ ، وكـــان يُخبِرُ عن حـوادثَ قـــادمين ٣
ربى زَوى لـى الأرض حـــتى قـــاربَتْ للنَّاظـرين ٤
أبصـــرتُ منهَا مـــا تَبَـاعـــدَ شـرقَهـــا والمغـــربين ٥
ولسـوفَ يَبْعُدُ مُلكنا أقـصَى حـدود المشـرقين (١) ٦
كـنزان مـن ذهـب وورق (٢) فـضلُ ربٍّ الـعـالمين ٧
أعطـاهُمـــا لى ربُّنـا شكرًا لخـــيـــر الـرازقين ٨
إنى ســـــألتُ الله ربى مـلجَأ المتـــــضرّعين ٩
لا يُهلكـنَّ لأمَّتى بـالقَحْطِ والجـــــدْبِ المـهين ١٠
أيضًا ويمـنعُ عـنهُمُ الأعـــــداءَ والمتـــــسَلّطين ١١
لكنَّ ربى قـــال لى : فلتـســـتـــمعْ كى تَستَبين ١٢
الأمـــــــرُ منِّى لا يُرَدُّ برغـم كُرهِ الـكارهـين ١٣
أعطـيتُ أمـــتَكَ الـذى تَرجُوه كنْ فى المـوقنين ١٤
لا أهـلـكـنَّهُمُ بـقَحْط أو بـجَدْبٍ أو سنـين (٣) ١٥
أيضًا ولسـتُ مـــسلطًا أعـــداءهُم كـــالـنَّاقـــمين ١٦
لو كلُّ منْ فى الأرض كـادُوهم فـليـسُوا هالكين ١٧
لكنْ سيُهْلِكُ بعـــضُهُمْ بعـضًا فـــذا قـدرٌ مـــبين ١٨

---

(١) حدود المشرقين : أى والمغربين أيضًا .

(٢) وورق : أى فضة .

(٣) بقحط أو بجدب أو سنين : القحط والجدب هما شىء واحد ، أى عدم خصب الأرض . والسنين : القحط المتوالى أكثر من مرة .

٣١ ـ حديث : النطفة والعلقة والمضغة

عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضى اللهُ تعالى عنهُ قال :

حدثنا رسولُ الله ﷺ وهُو الصادقُ المَصدوقُ : « إنَّ أحَدَكمْ يُجْمَعُ خَلقُهُ فى بطن أمِّه أربعين يومًا نُطفةً ، ثُم يكونُ علقةً مثل ذلكَ ، ثم يكونُ مضغةً مثل ذلكَ ، ثُم يُرسَلُ إليه الملكُ ، فينفُخُ فيه الرُّوحَ ، ويؤمرُ بأربع كلمات ، بكتب رزقه وأجَله ، وعمله ، وشقى أو سعيد.

فوالله الذى لا إله غيرُه ، إنَّ أحَدَكمْ ليعملُ بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكونُ بينَه وبينها إلا ذراعٌ [١] ، فيسبقُ عليه الكتابُ [٢] فيعملُ بعمل أهل النَّار فيدخُلهَا ، وإن أحدكمْ ليعمل بعمل أهل النَّار حتى ما يكونُ بينَه وبينها إلا ذراعٌ ، فيسبقُ عليه الكتابُ ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخُلُهَا » [٣] .

شرح الحديث

« إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه » يحتمل أن يراد أنه يجمع بين ماء الرجل والمرأة ، فيخلق منهما الولد ، كما قال تعالى : ﴿ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝ ﴾ [الطارق] ويحتمل أن المراد به يجمع من البدن كله لأنه قيل : إن النطفة فى الطور الأول تسرى فى جسد المرأة أربعين يومًا وهى أيام التوحمة ، ثم بعد ذلك تجمع ويذر عليها من تربة المولود فتصير ـ علقة ـ ثم يستمر فى الطور الثانى ، فيأخذ فى الكبر حتى تصير ـ مضغة ـ وسميت مضغة لأنها بقدر اللقمة التى تمضغ .

ثم فى الطور الثالث يصور الله تلك المضغة ، ويشق فيها السمع والبصر والفم

---

(١) ذراع : الذراع ، نوع من أنواع المقاييس ، مثل المتر والياردة ، والذراع : أقل من الاثنين .

(٢) فيسبق عليه الكتاب : أى ما كتب عليه وما قدر له فى علم الله عز وجل .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

والشم ، ويصور فى داخل جوفها الحوايا والأمعاء قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء ﴾ [آل عمران : ٦] ثم إذا تم التطور الثالث ، وهو أربعون ، وصار للمولود أربعة أشهر ، نفخت فيه الروح، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ يعنى أباكم آدم .

﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ يعنى ذريته والنطفة المنى ، وأصلها الماء القليل ، وجمعها نطاف،﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ وهى الدم الغليظ المتجمد، وتلك العلقة تصير دما غليظًا ﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ ﴾ وهى لحمة ﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾[الحج :٥].

قال ابن عباس : مخلقة أى تامة ، وغير مخلقة أى غير تامة ، بل ناقصة الخلق ، وقال مجاهد : مصورة وغير مصورة ، يعنى السقط . . . وعن ابن مسعود أن النطفة إذا استقرت فى الرحم أخذها الملك بكفه ، فقال : أى رب ، مخلقة أو غير مخلقة ؟! فإن قال : غير مخلقة ، قذفها فى الرحم دمًا ، ولم تكن مقسمة ، وإن قال : مخلقة ، قال الملك : أى رب ، أذكر أم أنثى ؟! أشقى أم سعيد ؟! ما الرزق وما الأجل ؟! وبأى أرض تموت ؟! فيقال له : اذهب إلى أم الكتاب ، فإنك تجد فيها كل ذلك ، فيذهب فيجدها فى أم الكتاب فينسخها ، فلا تزال معه حتى يأتى إلى آخر صفته ولهذا قيل : السعادة قبل الولادة . . قوله :

« فيسبق عليه الكتاب » أى الذى سبق فى علم الله ، أو الذى سبق فى اللوح المحفوظ ، أو الذى سبق فى بطن الأم . . وقد تقدم أن المقادير أربعة .

« حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع » هو تمثيل وتقريب، والمراد قطعة من الزمن ، من آخر عمره ،وليس المراد حقيقة الذراع وتحديده من الزمان ، فإن الكافر إذا قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ثم مات دخل الجنة ، والمسلم إذا تكلم فى آخر عمره بكلمة الكفر دخل النار .

وفى الحديث دليل على عدم القطع بدخول الجنة أو النار ، وإن عمل سائر أنواع البر ، أو سائر أنواع الفسق ، وعلى أن الشخص لا يتكل على عمله ولا يعجب به ، لأنه لا يدرى ما الخاتمة . . وينبغى لكل أحد أن يسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة، ويستعيذ بالله من سوء الخاتمة ، وشر العاقبة .

فإن قيل : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف] ظاهر الآية أن العـمل الصالح من المخلص يقـبل ، وإذا حصل القـبول بوعد الكريم ، أمن مع ذلك من شـر العاقبـة وسوء الخاتمة . . فـجواب ذلك من وجهين :

أحدهما : أن يكون ذلك معلقًا على شرط القبول ، وحسن الخاتمة ويحتمل أن من آمن وأخلص العمل ، لا يختم له دائمًا إلا بالخـير ، وأن خاتمة السوء إنما تكون فى حق من أساء العـمل ، أو خلطه بالعـمل الصالح المشـوب بنوع من الرياء والسمـعة ، ويدل عليه الحديث الآخر :

« إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس » .

أى فيما يظهر لهم من صلاح ظاهره ، مع فساد سريرته وخبثها والله تعالى أعلم .

وفى الحديث دليل على استحباب الحلف ، لتأكيد الأمر فى النفوس . . وقد أقسم الله تعالى قائلاً :

﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌ ﴾ [الذاريات : ٢٣] ، ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ [التغابن : ٧] .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

شعر الحديث الحادى والثلاثين : النطفة والعلقة والمضغة

قال ابنُ مسعـودٍ : سمعتُ المصطفى الهادى الأمين ١
فى قـوله الميـمـونِ يشبـهُ مـحكـمَ الذكـر المبين ٢
يحـكى لـنا بـدءَ الحـيـاة تـطوراً لـلآدمين ٣
بدءًا تـكوَّنُ نطـفـةٌ فـى الأمِّ حـتَّى الأربـعين ٤
أيضًا وتـغـدو عـلقـةٌ فى الأربعينَ الـتـابـعين ٥
فى ثالث الـحلقـات صـارتْ مـضـغـةٌ هذا يقين ٦
من بـعـد ذا يـأتى الملاكُ يـأمـر ربِّ العـالمين ٧
يأتى لنفـخ الرُّوح فـيهَـا ، أصـبـحَتْ نِعْمَ الجنين ٨
من بعـد نفخ الـروح يكتبُ صـادقًا فـوقَ الجبين ٩
الرزقَ والأعـمـالَ والآجـالَ كمْ عـددُ السِّنين ؟! ١٠
أيضًا ويكتبُ هل من السُّعـداء أمْ فى الهالكين ؟! ١١
فى جنة الـرضـوانِ أمْ فى الـنَّار بينَ المجْرمين ؟! ١٢
تاللـهِ إنَّ البـعضَ منـكمْ فى عيـونِ النـاظرين ١٣
أعـمـالـهُ توحـى بأنّ لهُ جـنانَ الخالـدين ١٤
لـكنْ قُبَيْلَ ممـاته يـأتـى له الـقـدَرُ المُهـين ١٥
أعـمـالهُ انقلبـتْ فـأضـحَى فى عِداد الخـاسرين ١٦
مِنْ ثَمَّ جـاءتْهُ المنيَّةُ وهوَ فى الـعـمـل المشين ١٧
للنَّار صـارَ مـصيـرُهُ ، أىْ فـى عِداد الكافـرين ١٨
والبعضُ منكم فـى عيون الناس ضـمنَ الفاسقين ١٩
لكـنَّه قـبـلَ الممـات رأى طريقَ الـطائـعين ٢٠
قـد مـاتَ فى الطاعـات نال الفـوزَ بينَ الفـائزين ٢١

٣٢ ـ حديث : « لا حسد إلا فى اثنتين »

عن عبد الله بن مسعُود رضىَ الله تعالى عنه ،أنّ رسُولَ الله ﷺ قال :

« لا حَسَدَ (١) إلا فى اثْنَتَيْن:رجُلٌ آتَاهُ اللهُ مالاً (٢) ،فسَلَّطَهُ على هَلَكَته فى الحقِّ ، ورجُلٌ آتاهُ اللهُ حِكْمَةً (٣) ، فهُوَ يقضى بَها ويعلِّمُهَا » (٤) .

شرح الحديث

« لا حسد إلا فى اثنتين » أى أن الحسد ممنوع ومحظور على المؤمن ، لا ينبغى للمسلم أن يمد بصره إلى ما أنعم الله به على الآخرين ، من نعم الدنيا فإن الحسد يعتبر أول جريمة وقعت منذ بدء الخليقة ، لقد حسد اللعين إبليس أبانا آدم ، فلم يسجد له فعصى أمر ربه فكان جزاؤه الخلود فى جهنم .

غير أن الحسد محبب ومباح فى حالتين اثنتين :

١ ـ « رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق » والمراد بالحسد هنا هو الغبطة ، وهو أن يتمنى الإنسان من ربه ، أن يعطيه مثل ما أعطى فلانًا مما أنعم الله به عليه ، لكى يعمل فيها بطاعة الله ، أى ينفق من المال فى وجوه الخير ، بعد أداء حق الله فيه . . وهذا التمنى لا بأس به ، وللمتمنى نيته ، فإن تمنى زوال نعمة عن صاحبها فهو آثم ، وذلك هو الحسد المذموم .

٢ ـ « ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضى بها ويعلمها » لا غرو أن من آتاه الله العلم والحكمة ، فإنه يكون مرموقًا بين قومه وعشيرته ، وهو فى الوقت نفسه ، يغبطه

---

(١) لا حسد : أى الحسد ممنوع بكل أنواعه ، لكنه مباح فى اثنتين :

(٢) رجل آتاه الله مالاً : فهو ينفق منه سرًا وجهرًا ، ويقضى به حوائج المحتاجين ، وذلك بعد أداء حق الله للسائل والمحروم .

(٣) ورجل آتاه الله الحكمة : الحكمة ، هى العلم الدينى بكل فروعه ، ومن ثم فهو يقضى بين الناس بالحق والعدل ، ويعلم العلم لطالبيه دونما ملل أو ضجر .

(٤) رواه الشيخان .

الناس على سمو مكانته ، وذلك حينما يزنونه بموازين الإسلام ، فى العلم والأخلاق والتعبد بالقرآن الكريم ، تلاوة وعملاً وإرشادًا .

ومن ثم فنحن إذًا فى ظلال هذا البيان النبوى المشرق ، والذى يشبه النور حينما يشع فيبدد ظلمات الجهل نجد توجيهًا كريمًا يرشدنا إلى ما فيه نفعنا ، ألا وهو تمنى الخير الحقيقى ، الذى فيه عز الدنيا والآخرة . . وهو العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والقضاء بهما فى شؤوننا الشخصية والعامة ، علينا وعلى مجتمعنا ، وما تخلف المسلمون عن ركب الحياة ، إلا لكونهم تركوا الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وحكموا بما شرع الإنسان من غير المسلمين .

هاتان الصفتان : رجل آتاه الله مالاً ، فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضى بها ويعلمها ، تعتبران من أفضل ما يتصف بهما الإنسان المسلم ، لذلك أشار لهما المصطفى ﷺ .

فصاحب المال يعطى منه الزكاة للفقراء والمساكين ، ويبادر إلى عمل الخير فى شتى الوجوه ، فيكون كاليد الحانية على المحتاجين من بنى قومه .

فهو عدو لماله ، كما قال المصطفى : « فسلطه على هلكته فى الحق » ، أى مسلط على ماله ، لا ينظر إليه نظرة إيثار، ليتعالى به على الآخرين، ولا لينفقه فى طريق الشيطان . . بل يعطى منه ما استطاع العطاء عملاً بالحكمة التى هتف بها الإمام على بن أبى طالب : إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تنفد وإذا أدبرت عنك الدنيا فأنفق منها ، فإنها لا تبقى .

وأما صاحب العلم والحكمة فهو ممن أكرمهم الله بحب العلم فعكف على تحصيله، وبالتالى فهو لا ينفك يعلم كل من حوله ، يعلمهم الحلال والحرام .

لا غرو أن صاحب العلم ، يعتبر راهبًا فى محراب الاطلاع ، فهو مع كتاب الله يتلوه ويتدبر آياته وأحكامه ، ويتعمق فى فهم معانيه ، وقد يفتح الله عليه ، فيهتدى إلى معنى غاب عمن سبقوه ، من الباحثين والعلماء والفقهاء ، ولم لا فلكل مجتهد نصيب . . . فإذا كان مع اطلاعه واجتهاده تقيًا مؤمنًا . فلن يحرمه الله عز وجل من

إشراقة فى قلبه ، وحكمة ينطق بها لسانه ، لقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال : ٢٩] أى هداية فى قلوبكم ، تفرقون بها بين الحق والباطل .

وهذا العالم ، إذا ما وجد فى نفسه القدرة على العطاء ، مما أعطاه الله من نورانية العلم ، فليبادر إلى العطاء ، فإن زكاة العلم بذله لمستحقيه . . ومن ثم يكون حينئذ موضع الغبطة، أى هو المحسود الذى يتمنى المؤمنون أن يكونوا مثله فى العلم والحكمة، ليعملوا مثله ، ويعطوا عطاءه ، وفى هذه الحالة ينطبق عليه قول المصطفى ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه » والله ورسوله أعلم .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

شعر الحديث الثانى والثلاثين : « لا حسد إلا فى اثنتين »

قـالَ ابن مسـعودٍ يحـدِّثُنا حـديثَ الصَّادقين ١
عن خـيـر خلقِ اللهِ قـال ، وقـولُهُ نورٌ مُبين ٢
من نُصْحِه للنَّاس قـال : فـلا تكونُوا حَاسـدين ٣
الحـاسدون فلـنْ يكونُوا ـ يوم حـشـرٍ ـ مُفْلحين ٤
لا تحـسُدوا إخـوَانكُم إذ مـا تروْهم نَاعـمين (١) ٥
فى اثـنتين أبـيـحكُـم أن تطـلبُوها دَائـبين (٢) ٦
أنْ تحـسُدوا أصـحـابَهـا كى تشـبـهُوهُمْ فـاعلين ٧
إنْ تُشْبـهُوهُمْ فى الفعـال ، فـقـدْ أصَبْتُمْ عنْ يقين ٨
أولاهُمـا ، فى المالِ ، والإنفـاق ، والمتـصـدِّقين ٩
رجلٌ لهُ عـقلٌ رجـيـحٌ وهو ذُو تقـوى ودين ١٠
أعطاهُ ربُّ العرشِ مـالاً صارَ ضِمْنَ الموسرين (٣) ١١
ما انْفَكَّ (٤) ينفقُ فى وجُوه الخـيـر والحقِّ المبين ١٢
أمـا عـنِ الأخـرى ، فنـورٌ من إله العـالمين ١٣
اللـهُ أعطى حكمـةً أحـدَ الـرجـال المؤمـنين ١٤
قـد باتَ يقـضى بينَ خلقِ الله بـالحُكم الأمين ١٥
أيضًا ولا يـنفـكُّ يبـذل علمـهُ لـلطـالبين ١٦

---

(١) ناعمين : أى فى نعمة ورغد من العيش .
(٢) دائبين : باستمرار .
(٣) الموسرين : ذوى اليسار ، الأغنياء .
(٤) ما انفك : لم يتوقف .

٣٣ ـ حديث : « لا تَقَاطَعُوا ولا تَدَابَرُوا »

عن أنس بن مالك رضَى اللهُ تعالى عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال :

« لا تقَاطـعُوا [١] ولا تدَابـرُوا [٢] ،ولا تبـاغضُوا [٣] ولا تحـاسَدُوا ، وكونوا عبادَ الله إخوانًا ، ولا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجرَ أخاهُ فوق ثلاثٍ » [٤] .

شرح الحديث

« لا تقاطعوا » المقاطعة،هى ضد المواصلة . . أى يتقاطع الأصدقاء ،أو الأقارب ، فلا يتواصلون ويكون ذلك عن خصام وعداء .

وقد يكون النهى عن المقاطعة ، خاصًا بالأرحام ، لقوله ﷺ فى الحديث : « ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمـه وصلها » لكن يبدو أن النهى عام عن المقاطعة بين المسلمين .

« ولا تباغضـوا » أى لا تتعاطوا أسباب البغض ، لأن البـغض لا يكتسب ابتداء ، وقيل : المراد النهى عن الأهواء المضللة ، المقتضية للتباغض .

والواقع أنه لأعم من الأهواء ؛ لأن تعاطـى الأهواء ، ضرب من ذلك ، وحقيـقة التباغض ، أن يقع بين اثنين ، وقد يطلق إذا كان من أحدهما ، والمذموم منه ما كان فى غير الله تعالى ، فإنه واجب فيه ويثـاب فاعله لتعظيم حق الله ولو كانا أو أحدهما عند الله من أهل السلامة ،كمن يؤديه اجتهاده إلى اعتقاد ينافى الآخر ،فيبغضه على ذلك ، وهو معذور عند الله تعالى .

« ولا تحاسدوا » الحسـد تمنى الشخص زوال النعمة من مسـتحق لها ، أعم من أن

---

(١) لا تقاطعوا : أى لا تجعلوا القطيعة تتسلط عليكم ، أن تهجروا بعضكم بعضا .

(٢) ولا تدابروا : بمعنى لا تقاطعـوا ، أى لا تتخاصموا ، بحـيث حينما يلتقى أحدكـم بالآخر يوليه دبره ، أى يدير له ظهره .

(٣) ولا تباغضوا : كلها ألفاظ متقاربة المعانى ، ولذا قال : « وكونوا عباد الله إخوانًا » .

(٤) رواه مالك والبخارى وغيرهما ، الفتح ١٠ / ٤٩٦ .

يسعى فى ذلك أولاً ، فإن سعى كـان باغيًا ، وإن لم يسع فى ذلك ، ولا أظهره ، ولا تسبب فى تأكيد أسباب الكراهة ، التى نهى المسلم عنها ، فى حق المسلم نظر : فإن كان المانع له من ذلك العجـز ، بحيث لو تمكن لفـعل فهذا مـأزور ، وإن كان المانع له من ذلك التقوى ،فقد يعذر لأنه لا يستطيع دفع الخواطر النفسانية ، فيكفيه فى مجاهدتها ، ألا يعمل بها ، ولا يعزم على العمل بها .

وقد أخرج عبد الرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أمية مرفوعًا « ثلاث لا يسلم منها أحد : الطيـرة والظن والحسـد ، قيل : فـما المخـرج منها يا رسول الـله ؟! قال : إذا تطيرت فلا ترجع ، وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا حسدت فلا تبغ » .

« ولا تدابروا » قال الخطابى : لا تتـهاجروا ، فيـهجر أحدكم أخـاه ، مأخوذ من تولية الرجل دبره لآخر ، إذا أعرض عنه حين يراه .

قال ابن عبد البر : قـيل للإعراض مدابرة ؛ لأن من أبغض أعرض ، ومن أعرض ولى دبره ، والمحب بالعكس وقـيل : مـعناه لا يسـتـأثر أحدكم علـى الآخر ، وقـيل للمستأثر : مستدبر لأنه يولى دبره حين يستأثر بشىء دون الآخر .

وقال الماوردى : معنى التدابر ، المعاداة ، يقول : دابرته ، أى عاديته ، وقد فسره مالك فى الموطأ بأخص مما سبق فقال : ولا أحسب التدابر ، إلا الإعراض عن السلام ، يدبر عنه بوجهه . . وكأنه أخذه من بقية الحـديث : « يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » .

فإنه يفهم أن صدور السلام منهما ، أو من أحدهما ، يرفع ذلك الإعراض .

« وكونوا عباد الله إخوانا » بلفظ المنادى المضـاف . . وهذه الجملة تشبه التعليل لما تقدم ، كـأنه قال : إذا تركتم هذه المنـهيات ، كنتم إخـوانًا ، وإذا لم تتركوها تصـيروا أعداء ، ومعنى كونوا إخوانًا ، اكتسبوا ما تصيرون به إخوانًا ، مما سبق ذكره وغير ذلك من الأمور المقتضية لذلك إثباتًا ونفيًا .

وقوله : « عباد الله » أى يا عباد الله ، فيه إشارة إلى أنكم عبيد لله ، فحقكم أن تتواخوا بذلك .

قـال القرطبى : المعنى كـونوا كإخـوان النسب ، فى الشـفقـة والرحمـة والمحبـة والمواساة والمعاونة والنصيحة .

قال ابن عبد البر : تضمن الحديث الشريف ، تحريم بغض المسلم والإعراض عنه ، وقطيعته بعد صحبته بغير ذنب شرعى ، والحسد له على ما أنعم به عليه ، وأن يعامله معاملة الأخ النسيب ، وألا ينقب عن معايبه ،ولا فرق فى ذلك بين الغائب والحاضر ، والله أعلم (١) .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) من فتح البارى ١٠ / ٤٩٦ بتصرف .

شعر الحديث الثالث والثلاثين : «لا تقاطعوا ولا تدابروا »

أنسُ بنُ مـــالك خـــادمُ الهـــادى إمـــامِ المرسَلين ١
يرْوى لنا مـن قـولِ خـيـــر الخلق طُرًا أجـمــعين ٢
فى قـــوله نـورُ الهــدَاية للعـــقـــول الـفـــاهمين ٣
قـد قال : لا تتـقَاطَعُوا (١) كـونُوا من المتـواصلين ٤
إنَّ التـــقـــاطعَ يُورثُ البـــغـــضـــاءَ بينَ المـؤمنين ٥
قـــد قـــال : لا تتَدابَرُوا (٢) كـيمَا تعـيـشُوا آمنين ٦
إنَّ التــــــدابُرَ ليسَ مـن أخلاق قـــوم مــــتَّقين ٧
أيضًا ، ولا تتـباغـضُوا ، ولتَتْركـوا البُغْضَ المشين ٨
إنَّ التـبـــاغُضَ والتـخـاصُمَ من طبـــاعِ الحـاقدين ٩
أمـا التـحـــاسُدُ فـهْوَ من أفـعـال إبلـيسَ اللعين ١٠
منْ ثَمَّ لا تتـحاسَدوا ، ولتـرفـضُوا المتحَاسـدين ١١
كـــونـوا عــبـــادَ اللـه إخـــوانًا منَ المتـــآلفين ١٢
إذْ لا يَحلُّ لمسـلم هـجـــرًا لأحــــد المسْلمين ١٣
الهـــجـــرُ فـــوق ثلاثة لا يـنْبـــغى لمخـــاصمين ١٤
تلكَ الـصـــفـــاتُ تجنَّبُوها تُكتَبُوا فى المـفلحين ١٥

---

(١) لا تتقاطعوا : لا تقطعوا تواصلكم ، لا سيما أرحامكم .

(٢) لا تتدابروا : التدابر ، المعاداة ، لا يعط كل واحد منكم أخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره .

٣٤ ـ حديث : « أنتم شهداء الله فى الأرض »

عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنَّه قال: مُرَّ بجنازَة (١) فأُثْنِىَ عليهَا خَيْرٌ (٢)، فقالَ نبى الله ﷺ :

« وجَبَتْ ، وجَبَتْ ، وجَبَتْ » ، ومُرَّ بجنَازة فأُثْنِىَ عليهَا شَرٌّ (٣) ، فقالَ نبى الله ﷺ : « وجَبتْ ، وجَبتْ ، وجَبتْ » ، فَقالَ عُمَرُ : فدىً لك أبى وأمِّى ، مُرَّ بجنازة فأُثْنِىَ عليهَا خير ، فقلتَ : وجبتْ ، وجبتْ ،وجبتْ ، ومُرَّ بجنازة فأثنىَ عليهَا شَر ، فقلتَ : وجبتْ ، وجَبتْ ، وجَبتْ ، فقالَ رسُولُ الله ﷺ : « منْ أثنَيْتُمْ عليْه خيرًا ، وجَبتْ لهُ الجنةُ ، ومَنْ أثنيتمُ عليْه شرًا ،وجبتْ لهُ النارُ ، أنتُمْ شُهداءُ الله فى الأرضِ ، أنتُمْ شُهداءُ الله فى الأرضِ ، أنتم شهداءُ الله فى الأرض » (٤) .

وفى رواية عن أنس أيضًا ، كنت قاعدًا عند النبى ﷺ ، فمُر بجنازة فقال : « ما هذه الجنازة ؟! » قالوا : جنازة فلان الفلانى ، كان يحب الله ورسوله ، ويعمل بطاعة الله ويسعى فيها .. فقال : « وجبت ، وجبت ، وجبت » ، أى له الجنة ، وقال ضد ذلك فى التى أثنوا عليها شرًا .. ففيه تفسير ما أبهم من الخير والشر .

ورواية ثالثة من حديث جابر عند الحاكم « فقال بعضهم : لنعم المرء ، لقد كان عفيفًا مسلمًا ، وفى الآخر قال بعضهم : بئس المرء كان ، إن كان فظا غليظًا » .

---

(١) مر بجنازة : أى مر المسلمون حاملين جنازة رجل مسلم ،أمام مسجد رسول الله وأصحابه حوله .

(٢) فأثنى عليها خير : أى أن الجالسين مع رسول الله ﷺ أثنوا على المتوفى ثناءً حسنًا، أى أنه محب لله ورسوله .

(٣) فأثنى عليها شر : أى أنهم ذكروا المتوفى بالسوء ، أى أنه لم يكن من أهل الطاعة والخير .

(٤) فتح البارى ٣ / ٢٧٠ .

شرح الحديث

قوله ﷺ : « وجبت ، ثلاث مرات ،قال النووى:التكرار فيه تأكيد القول المبهم ، ليحفظ ويكون أبلغ .

هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة ، فيه بيان لأن المراد بقوله : « وجبت » أى الجنة لذى الخير ، والنار لذى الشر ، والمراد بالوجوب الثبوت ، إذ هو فى صحة الوقوع ، كالشىء الواجب والأصل أنه لا يجب على الله شىء ، بل الثواب فضله والعقاب عدله ، لا يسأل عما يفعل .

وفى رواية للإمام مسلم : من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة ، وهو أبين فى العموم من رواية آدم ، وفيه رد على من زعم أن ذلك خاص بالميتين المذكورين ، لغيب أطلع الله نبيه عليه ، وإنما هو خبر عن حكم أعلمه الله به .

« أنتم شهداء الله فى الأرض ، أى المخاطبون بذلك من الصحابة ، ومن كان على صفتهم من الإيمان ، وحكى ابن التين أن ذلك مخصوص بالصحابة ، لأنهم كانوا ينطقون بالحكمة بخلاف من بعدهم » .

قال : والصواب أن ذلك يختص بالثقات والمتقين .

ولأبى داود ، من حديث أبى هريرة فى نحو هذه القصة ، «إن بعضكم على بعض لشهيد » .

قال النووى : والظاهر أن الذى أثنوا عليه شرًا ، كان من المنافقين ، يؤيد ذلك ما رواه أحمد من حديث أبى قتادة ، بإسناد صحيح أنه ﷺ ، لم يصل على الذى أثنوا عليه شرًا ، وصلى على الآخر .

قال الداودى : المعتبر فى ذلك شهادة أهل الفضل ، لا شهادة الفسقة ، لأنهم قد يثنون على من يكون مثلهم . . ولا شهادة من بينه وبين الميت عداوة ، لأن شهادة العدو لا تقبل .

ونقل الطيبى عن بعض العلماء والمحققين قال : ليس معنى قوله : « أنتم شهداء الله فى الأرض » أن الذى يقولونه فى حق شخص ، يكون كذلك ، حتى يصير من

يستحق الجنة من أهل النار بقولهم ، ولا العكس . . بل مـعناه أن الذى أثنوا عليه خيرًا رأوه منه ، كان ذلك علامة كونه من أهل الجنة ، وبالعكس .

وتعقبه الطيبى بأن قوله : « وجبت » بعـد الثناء ، حكم عقب وصفًا مناسبًا فأشعر بالعلية .

وكذا قوله : « أنتم شـهداء الله فى الأرض » لأن الإضافة فيـه للتشريف ، لأنهم بمنزلة عالية عند الله ، فهو كالتزكية للأمة بعد أداء شهادتهم ، فينبغى أن يكون لها أثر .

قال: وإلى هذا يومئ قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ [البقرة : ١٤٣] وقد استشهد محمد بن كعب القرظى،لما روى عن جابر ،نحو حديث أنس بهذه الآية .

أخرجه الحاكم .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى (١) .

(١) فتح الباري ٣ / ٢٧١ بتصرف .

شعر الحديث الرابع والثلاثين : « أنتم شهداء الله »

أنسُ بنُ مالك قال يَروى عنْ إمامِ المتَّقين ١
كنَّا جُلوسًا حَوْلَ خيرِ الخلقِ خيرِ المرسَلين ٢
مَرَّتْ جنازَةُ ميِّتٍ كنا جميعًا ناظرين ٣
لما رأيناها عرفنا من بهَا (١) متأكدين ٤
فورًا ذكرناها بخير ، ذكْرَ قومٍ عارفين ٥
مِنْ ثَمَّ قال المصطفى : وجبتْ ـ بقول الشاهدين ٦
وجَبتْ (٢) ، وكررَها ثلاثًا ، نِعْمَ قولُ الفاهمين ٧
مرتْ جنازةُ ميِّتٍ أخرَى وكنَّا قاعدين ٨
فورًا ذكرناها (٣) بشَرٍ ، لم نكن فى المفترين ٩
المصطفى سمعَ المقالَ ،فقال:وجَبتْ (٤) عن يقين ١٠
من بعدِ هذا يَسألُ الفاروقُ للهادِى الأمين ١١
أفديكَ بالأبوينِ يا خيرَ الخليقةِ أجمعين ١٢
قد قلتَ فى الاثنينِ قولاً واحدًا للسَّامعين ١٣
فورًا أجابَ على السؤال موَضِّحًا للمستبين ١٤
من تشهدُوا بالخِير فيهِ ، فإنهُ فى الفائزين ١٥
أو تشهَدوا بالشرِّ فيه ، فإنه فى الهالكين ١٦
إذْ أنتمُ الشُّهداءُ فى الدنيا لربِّ العالمِين ١٧

---

(١) عرفنا من بها : عرفنا المتوفى من هو .

(٢) وجبت : أى وجبت له الجنة .

(٣) ذكرناها بشر : عرفنا المتوفى وهو ليس من أهل الخير .

(٤) وجبت : أى وجبت له النار .

٣٥ ـ حديث : « الجنة تحت ظلال السيوف »

عن عبدِ الله بن أبى أَوْفَى رضىَ اللهُ تعالَى عنهُما ـ أنَّ النبىَّ ﷺ قال : « يا أَيَها الناسُ ، لا تتـمنَّوْا لقَاءَ العدوِّ [١] ، واسألوا اللهَ العـافيةَ [٢] ، فإذا لقـيتُموهُم فاصْبِرُوا ، واعلمُوا أنَّ الجنة تحتَ ظلالِ السُّيـوف ؛ ثم قالَ ﷺ : « اللهـمَّ منزِّلَ الكتـابِ ، ومُجْرِىَ السَّحـابِ ، وهازِمَ الأَحـزابِ ، اهْزِمْهُمْ وانصُرنَا عليهِمْ » [٣] .

شرح الحديث

« لا تتمنوا لقاء العدو » أى لاتطلبوا لقـاء العدو ولا تشتهوه ، وأصل التمنى هو : طلب الشىء المحبوب ، قـال تـعالى : ﴿ **وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ [النساء : ٣٢] وفى الحديث الشريف : « ليس الإيمان بالتـمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل » .

« اسألوا الله العـافية » أى اطلبوا من الله السـلامة ، وأصل العافيـة السلامة من جميع ما يؤذى ويسوء،من أمور الدنيا أو الآخرة ، وقد أوصى النبى ﷺ عمه العباس ، أن يطلب العافية من الله، وعلل بذلك بقوله : « سل الله العافية ، فإنك إن أعطيتها ، فقد أعطيت خيرى الدنيا والآخرة » . اللهم إنا نسألك العفو والعافية وحسن الختام .

« مجرى الســحاب » مسير الســحاب من جهة إلى جهـة ، ومن بلد إلى بلد ، قال

---

(١) لا تتمنوا لقاء العدو : أى لا تطلبوا لقاء العدو ولا تشتهوه ، وأصل التـمنى ، طلب الشىء المحبوب ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [النساء : ٣٢] .

(٢) واسألوا الله العافـية : أى اطلبوا من الله السلامة ، وأصل العـافية السلامة من جمـيع ما يؤذى ويسـوء من أمور الدنيا والآخرة . وقد أوصى النبى ﷺ عمه العـباس أن يطلب العافية من الله ، وعلل له ذلك بقوله : « سل الله العافـية ، فإنك إن أعطيتـها فقد أعطيت خـيرى الدنيا والآخرة » . نسـألك اللهم العفو والعـافية وحسن الختام آمين .

(٣) رواه الشيخان .

تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ ﴾ [النور : ٤٣] .

« هازم الأحزاب » المراد بالأحزاب هم أئمة الضلال الذين اجتمعوا وتحزبوا لقتال النبى ﷺ ، وقد اشتهرت تلك الغزوة باسم ـ غزوة الأحزاب ـ قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) ﴾ [الأحزاب : ٣٢] . وقد هزمهم الله ، ونصر عباده المؤمنين ، ورفع راية الدين ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى .

الشرح الأدبى :

الجهاد فى سبيل الله ، شعار هذا الدين ، وعز هذه الأمة وحصنها المتين ، فما تركت أمة الجهاد فى سبيل الله ، إلا ذلت وهانت ، ولهذا كان الجهاد فى شرعة الإسلام ، فريضة لازمة لابد منه لنيل العزة ، وكان ذروة أعمال الإسلام ، وقد جاء فى الحديث الشريف : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو ، مات ميتة جاهلية » والغرض من الجهاد ، إعلاء كلمة الله ، ونشر المبادئ الإنسانية الكريمة التى جاءت بها الشرائع السماوية ، ودفع كيد المعتدين ، ولهذا أمر الله جل ثناؤه بالجهاد وحض عليه ، ووضح الغرض منه فقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) ﴾ [النساء]

ومع أن الجهاد فريضة مقدسة ، من أجل إعزاز الدين ، ورفع مناره ، ومع ذلك فقد جاءت السنة النبوية المطهرة ، تنهى عن تمنى لقاء العدو ، وتأمر بالصبر عند احتدام المعركة ، فالأصل فى المسلم أن يطلب السلامة والمعافاة ، وألا يتعرض للبلاء والفتنة ، ولكنه حينما لا يكون من القتال والحرب مناص ، فلابد له من الصبر وعدم الفرار من ساحة الشرف ، ومن ميدان الكفاح والنضال ، كما أشارت الآية الكريمة وهى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) ﴾ [الأنفال] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) ﴾ [الأنفال] .

فلابد من الصبر عند تعانق السيوف ، والتحام الصفوف ، ولابد من توطين النفس

على تحـمل المكاره ، فإن الجنة لا تنال إلا بالصـبر عند الشـدائد ، وبتحـمل الأذى فى سبيل الله ، والله تعالى يقول : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) ﴾ [آل عمران] .

وقد دعا الرسـول الكريم ، بأن ينصره الله على أعداء الدين فـقال : « اللهم منزل الكتـاب ومجرى السـحاب وهازم الأحـزاب اهزمهم وانصـرنا عليهم » ، فـلابد إذا من الاستـعداد ، ثم اللجوء إلى الله ، وطـلب النصرة منه ، ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) ﴾ [الحج] .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم (١) .

---

(١) من كتاب كنوز السنة بتصرف .

شعر الحديث الخامس والثلاثين : « الجنة تحت ظلال السيوف »

قـدْ قـالَ عـبـدُ الله يـروى عن إمـامِ المرسَلين ١
من قـول خـيـرِ الخَلقِ فـيـه النورُ للمـتـحيِّرين ٢
إذ قـال الناس : اسـمَعُوا قولى سـمـاعَ الفـاهمين ٣
لا تشـتُهـوا أن تلتـقُوا بعـدوكُـمْ يا مـسـلمين ٤
بل واسْألوا المـولى السـلامـةَ دائمًا دنيـا ودين ٥
لكـنْ إذا حقَّ اللـقـاءُ بأمـر ربٍّ العـالمين ٦
للـذَّودِ عن أرضٍ وعِرْضٍ من غُزاة مـعـتَدين ٧
أيضًا لنصـرِ الدينِ فى شـرقٍ وغـربٍ أجـمـعين ٨
فلتـصـبـرُوا عندَ اللقـاء بكـلِّ عـزمِ المـؤمنين ٩
أىْ فـاثبـتُوا ، بـل لا تفرُّوا ولتظـلوا صَامدين ١٠
إنَّ الفـرارَ منْ القـتـالِ جـريمةٌ تُنْدى الجَبين [١] ١١
واللـهُ يغـضبُ إنْ يفـرَّ المرءُ فـى جُبْنٍ مُشين ١٢
إنَّ الذي يـبـغي رضـاءَ الله فـى صدقٍ أمين ١٣
ثُم الذى يـبـغـى جنَانَ الخُلد بينَ الـنَّاعمين [٢] ١٤
لا يرتجفْ إذْ مـا رأى الأسـيَافَ صـارُوا لامـعين ١٥
أىْ لا يهـابُ الموتَ إنَّ الموتَ للـمـتـخَاذلين ١٦
من يجـعل الإقـدَامَ [٣] مَرْكبَهُ بعـزمِ الصَّادقين ١٧
هذا الذى فى الخُلد يَرْفُلُ [٤] فى جوارِ الصَّالحين ١٨
مِنْ ثَمَّ قـال المصطـفى يدعُو إلـهَ العـالمين ١٩
يا هـازمَ الأحـزابِ فـانصُرنـا على المتَطـاولين ٢٠

---

(١) تندى الجبين : أى يخجل منها الإنسان ويعرق جبينه من شدة الحياء والخجل .

(٢) بين الناعمين : أى بين المنعمين فى الجنة .

(٣) الإقدام : الشجاعة والهجوم على العدو فى ميدان القتال .

(٤) يرفل : يتبختر .

٣٦ ـ حديث : التربية النبوية

عن ابن عمرَ رضىَ اللهُ تعالى عنهُما ـ أنَّه قالَ أخذَ رسُولُ الله بمَنْكَبىَّ (١) فقالَ :

« كُنْ فى الدنيا كأنك (٢) غريبٌ أو عابرُ سَبيلٍ ،وَعُدَّ نفْسَكَ من أهلِ القُبورِ » (٣) ، وكانَ ابنُ عمرَ ﷺ يقولُ : إذا أمسَيْتَ فلا تَنْتظرِ الصبَاحَ ، وإذا أَصبحْتَ فلا تنتظر المساءَ وخُذ من صِحتِك لمرضِك ، ومن حيَاتك لموتكَ » (٤) .

شرح الحديث

« أخذ رسول الله بمنكبى » تثنية منكب ، وهو مجمع رأس العضد والكتف ؛ لأنه يعتمد عليه ، وإنما فعل ذلك ﷺ معه ليستيقظ ويقبل بقلبه على ما يلقيه عليه النبى الكريم ، وهكذا عادته ﷺ فى مؤانسة جلسائه .

« كأنك غريب أو عابر سبيل » الغريب مأخوذ من الغربة ، وهو البعد عن الأهل والأوطان ،والمراد بعابر السبيل:المسافر الذى يمر بطريقه على بعض البلدان والأماكن .

« من أهل القبور » أهل القبور كناية عن سكانها وهم « الموتى » .

« وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك » أى خذ من وقت صحتك لوقت مرضك ، وكذلك من حياتك لموتك ، والمراد أن يغتنم الإنسان وقت شبابه ، ووقت صحته . فيعمل الأعمال الصالحة ، حتى أدركته الشيخوخة أو المرض ، كان متزودًا من فعل الصالحات .

---

(١) أخذ رسول الله بمنكبىّ : تثنية منكب ، وهو مجمع رأس العضد والكتف .

(٢) كأنك غريب ، أو عابر سبيل : الغريب ، البعيد عن الأهل والوطن ،والمراد بعابر السبيل ، المسافر الذى يمر بطريقه على بعض البلدان والأماكن .

(٣) من أهل القبور : عد نفسك من الموتى ، وأهل القبور هم سكانها .

(٤) رواه البخارى والترمذى .

الشرح الأدبى :

مع هذا التوجيه النبوى الكريم ، والإرشاد الصادق الحكيم ، تتربى فى نفس المؤمن روح الجهاد والكفاح ، والزهد فى هذه الحياة الزائلة الفانية ، فليس المؤمن كغيره من أفراد الناس ، يكد ويكدح ويشقى وينصب فى سبيل حطام الدنيا ، وجمع ما فيها من ثروة ومال ، بل إن له نفسًا تواقة إلى المعالى ، تترفع به عن سفاسف الأمور ، وتعلو به إلى مدارج الرقى والكمال ، إلى أجواء قدسية من حب الخير والفضيلة ، والبحث عما تتوق إليه النفس الكريمة من صالح الأعمال .

على هذه التربية الكريمة ، نشأ أصحاب رسول الله ﷺ وعليها درجوا ، فكانوا مصابيح تضىء للناس فى ظلمات هذه الحياة ، ولا عجب فلقد اقتسبوا ذلك من معين النبوة ومنبع الفضل والكمال فهذا هو رسول الله ﷺ يربى أصحابه تربية إنسانية كاملة يعلمهم كيف يكونون جنودًا للحق ، وأنصارًا للدعوة ، يزهدون فى هذه الحياة الدنيا فيضحون بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، ويتسابقون للآخرة ليكونوا حملة رسالة وقادة أمة ودعاة خير وإصلاح ، واضعين نصب أعينهم قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ** ﴾ [التوبة : ١١١] فما كانت الحياة تشغلهم ، وما كانت الدنيا تفتنهم من واجب الدعوة إلى الله ، والجهاد فى سبيله لإعلاء دينه ورفع منار الإسلام .

لقد كانت تربية النبى ﷺ لأصحابه تربية مثالية كريمة تربية فيها الشجاعة والبسالة والعزم والحزم والزهد والعفاف ، لذلك كانوا رجالاً وأبطالاً ، فتحوا الدنيا وسادوا بتلك المعانى النبيلة التى غرسها فى قلوبهم المربى الأول : محمد ﷺ . . هذا هو رسول الله ﷺ ، يوجه ذلك الشاب المؤمن ـ عبد الله بن عمر ـ الوجهة الفاضلة الرشيدة ، فيمسك بمنكبه ـ مؤنسًا ومسليًا ـ ثم يقول له تلك القولة الكريمة الهادفة : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور » .

ما أجملها من نصيحة ، وما أكرمها من قولة !! وحقًا إنها للفتة سامية هادفة ، ونصيحة ثمينة غالية ، يقدمها الرسول الكريم لهذا الشاب المؤمن ، فيحرك فيه بواعث الخير ، ويفجر فيه ينابيع الإيمان والفضيلة .

ولقد كان لهذه التربية ، ولهذا التوجيه أثر فى نفس ذلك الشاب المؤمن ، فإن هذه الباقة الجميلة من رسول الله ، قد أعطت ثمراتها اليانعة ، فوقعت فى نفسه موقعًا عظيمًا ، وتقبلها تقبلاً حسنًا .

لقد جمعت هذه الكلمات القلائل ، أنواع النصائح ، فالغريب الذى قدم بلدًا غير بلده لا مسكن له فيه يؤويه،ولا صديق يواسيه ، ولا أحد من الأهل والأولاد يؤنسه ، كيف يكون حاله ؟! ألا يشعر بالوحشة والغربة ،ويتمنى العودة إلى الأهل والأوطان ؟! وهل يكون له رغبة فى البقاء بأرض الغربة والإقامة فيها ؟!

والإنسان الذى انتقل من هذه الدار ـ دار الفناء ـ وأصبح فى دار البقاء ، هل يبقى له طمع فى جمع الأموال وتكديس الثروات ؟! أم يصبح همه فى نيل رحمة الله ورضوانه ، ويتمنى العودة إلى الدنيا ليكثر فيها من صالح الأعمال ؟!

فلله ما أعجب هذه الحياة الدنيا ، وما أتفهها وأحقرها ، إن لم يغتنم منها الإنسان ويتزود بصالح الأعمال !! وهل هذه الدنيا إلا دار الغرور ، يركن إليها الغافل ، ويغتر فيها المجهول .

وبهذه المعانى السامية ، انطلقت نفس هذا الغلام اليافع ، وترددت على لسانه تلك الكلمات العظيمة الرائعة ، التى هى ثمرة التربية النبوية الصادقة ، إذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك . . . فلله ما أسماها من نصيحة ، وما أصدقها من تربية !!

وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم [١] .

---

(١) من كتاب كنوز السنة بتصرف .

شعر الحديث السادس والثلاثين : التربية النبوية

قَدْ قـالَ عبـدُ الله (١) : أوصَانى أمـــامُ المرسَلين ١
لا لـسْتُ أنسَى قـــــوله إنـى لهُ فـى الذاكريـن ٢
أخـــذَ النبىُّ بِمَنـكبىّ (٢) وقـالَ قـــولَ الواعظين ٣
قد قالَ : كنْ مثلَ الغريب ، وعشْ معَاش الزاهدين ٤
لا تَخْدَعنَّك هـذه الدُّنيـــا ، وكنْ فى الحـــاذرين ٥
إنْ لم تكنْ منْهـا حـريصًا، نالك الخُسْرُ (٣) المبـين ٦
إن الغـــريبَ يظلُّ ـ دومًا ـ لا يَقـــرُّ (٤) ويسْتـكين ٧
عــيناهُ نـحـوَ مـعـــاده ترنُو بشـوقٍ مـع حنين ٨
أو كُنْ بهَا مـــثـل المسَافر فـى طريـق الذاهـبين ٩
هذا المســافـرُ ليسَ يحـملُ أىَّ زادٍ أو مُعين (٥) ١٠
الزادُ مـن عند الإلـه يُســاق للمــــتــوكّلين ١١
بلْ عُدَّ نفْسَك قـد فَنيتَ ، ودَعْ أمـورَ الطامعين ١٢
الموتُ يـأتى بـغـــتــةً فلـتنتـظرْه بكـلِّ حين ١٣
منْ أجل هـذا كـان عـبـد الله يعظُ المسْلمين ١٤
ويقـولُ إن تُمسُوا فكـونوا منْ صـبَاحٍ يائسين ١٥
ولتـأخـذُوا منْ حَال صحَّتكـم كـأخـذ الغَانمين ١٦
فى حـالةِ الأمراضِ سـوفَ يكونُ كـالكنز الثـمين ١٧
ومن الحـيـاةِ إلى الممـاتِ خـذوا بحـزم المؤمنين ١٨

---

(١) عبد الله : هو عبد الله بن عمر بن الخطاب .
(٢) بمنكبى : تثنية منكب ، والمنكب هو مجمع رأس العضد والكتف .
(٣) نالك الخسر : أى الخسران .
(٤) لا يقر ويستكين : أى لا يستكين ، حذفت ـ لا ـ للضرورة .
(٥) أى زاد أو معين : أى وليس له معين .. للضرورة أيضًا .



المراجع

١ ـ **فتح البارى بشرح صحيح البخارى** : للحافظ ابن حجر العسقلانى .

٢ ـ **صحيح البخارى** : لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى .

٣ ـ **صحيح مسلم** : للإمام مسلم بن الحجاج .

٤ ـ **التاج الجامع للأصول** : للشيخ منصور ناصف .

٥ ـ **دليل الفالحين شرح رياض الصالحين** : محمد بن علان الصديقى الشافعى .

٦ ـ **الترغيب والترهيب** : للمنذرى ، تعليق وشرح مصطفى عمارة .

٧ ـ **سنن النسائى** : أبو عبد الرحمن بن شعيب .

٨ ـ **نيل الأوطار** : للإمام الشوكانى .

٩ ـ **المنتخب من السنة النبوية** : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

١٠ ـ **سبل السلام** : للإمام محمد بن إسماعيل الصنعانى .

١١ ـ **الكنز الثمين** : للمحدث الشيخ عبد الله الغمارى .

١٢ ـ **زاد المعاد فى هدى خير العباد** : للإمام ابن قيم الجوزية .

١٣ ـ **من كنوز السنة** : الشيخ محمد على الصابونى .

١٤ ـ **جامع العلوم والحكم** : ابن رجب الحنبلى .

١٥ ـ **الحديث والمحدثون** : محمد محمد أبو زهو .

١٦ ـ **الأحاديث النبوية الشريفة** : دكتور محمود فرج العقدة .

١٧ ـ **فتح المبدى** : لشيخ الإسلام عبد الله الشرقاوى .

١٨ ـ **إغاثة اللهفان** : لابن قيم الجوزية .

١٩ ـ **حياة الصحابة** : محمد يوسف الكاندهلوى .

٢٠ ـ **الإصابة فى معرفة الصحابة** : للحافظ ابن حجر العسقلانى .

٢١ ـ **تفسير سورة الفرقان** : الدكتور منيع عبد الحليم محمود .

٢٢ ـ **المعجزة الكبرى القرآن** : للإمام محمد أبو زهرة .

٢٣ ـ **سيرة النبى** : لابن هشام .

٢٤ ـ **السيرة النبوية** : لابن كثير .

٢٥ ـ **إنسان العيون « الحلبية »** : على برهان الدين الحلبى .

٢٦ ـ **سبل الهدى والرشاد** : للإمام محمد بن يوسف الصالحى .

٢٧ ـ **تغريدة السيرة النبوية** : محمد عايش عبيد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر
مجمع البحـوث الاســلامية
الادارة العـــامة
للبحــوث والتــاليف والترجمــة

نموذج رقم ١٧
AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

السيد / [illegible]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : (الشعر في كتب السنة المطهرة (...) من الجزء الأول إلى الرابع) . تاليفكم ....

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعه على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدير عام
ادارة البحوث والتاليف والترجمة

تحريرا في ٢/٤/١٤١٢ هـ
الموافق ٢٠/٩/١٩٩١

فهرس الموضوعات



رقـم الإيداع : ١٩١٥٢ / ٢٠٠٣م
I.S.B.N:977-15-0443-6